حملة الإمبراطور حنا الثاني كومنين على مدينة شَيزَر
عام ٥٣٢هـ/ ١١٣٨م

د. آمال حامد زيان
جامعة القاهرة– مصر

تناولت بعض الدراسات الحديثة حملة الإمبراطور حنا الثانى كومنين (١١١٨-١١٤٣م) John II Komnenos[١] على مدينة شَيزَر عام ٥٣٢هـ/ ١١٣٨م بشكل مقتضب[٢]، ولعل السبب فى ذلك يرجع إلى قلة المعلومات الواردة عن هذه الحملة فى المصادر المعاصرة. فمن بين هذه المصادر تظل حوليات *Annals* نيكتاس خونياتس [٣] Niketas Choniates المصدر البيزنطى الوحيد الذي يتحدث بشئ من التفصيل عنها، حيث أبرز الجهد الذى بذله الإمبراطور حنا الثانى كومنين من أجل الإستيلاء على شَيزَر ودور أهل شَيزَر وصمودهم ومقاومتهم لهذه الحملة، كما شرح دون غيره من المؤرخين الكيفية التى انتهت بها هذه الحملة، والهدايا والأموال التى أخذها الإمبراطور فى مقابل رفع الحصار عن شَيزَر، وهو الأمر الذى يجعلنا نعتمد على كتابات نيكتاس خونياتس اعتمادا كبيرا فى معالجة هذه الحملة.

وثمة مصدر بيزنطي آخر كان قريباً من أحداث الحملة، هو مؤلف حنا كناموس John Kinnamos[٤] التاريخي الذي يحمل عنوان "أعمال حنا ومانويل كومنين " *The Deeds of John and Manuel Comnenus* بعض أحداث هذه الحملة، لكن دون الدخول إلى التفصيلات، بالإضافة إلى ذلك فسوف يتم الاعتماد على سائر المصادر المعاصرة الأخرى.

وتحاول الدراسة الحالية إلقاء الضوء على الأسباب التى دفعت الإمبراطور حنا الثانى

---

(١) حنا الثانى كومنين: هو أكبر أبناء الأمبراطور الكسيوس الأول كومنين من الذكور، تولى عرش الإمبراطورية البيزنطية عقب وفاة والده عام ١١١٨م على الرغم من محاولات والدته إقصائه عن العرش وتولية نقفور برينيوس زوج ابنتها أنا كومنينا، إلا أن والده رفض ذلك وأصر على تولية حنا، واستمر حنا الثانى فى حكم الإمبراطورية حتى وفاته عام ١١٤٣م. انظر: Ostrogorsky, G., *History of the Byzantine state*, Trans. J. Hussey, London, 1957, pp.333-334; Diehl, Ch., *History of the Byzantine Empire*, Princeton, 1925, p.112.

(٢) من هذه الدراسات أنظر على سبيل المثال: سعيد عاشور: الحركة الصليبية، القاهرة ١٩٧١م، ج١، ص٥٨٥-٥٩٠؛ حامد غنيم أبو سعيد: الجبهة الإسلامية في عصر الحروب الصليبية، القاهرة ١٩٧١م، ج١، ص٢٦٢؛ عماد الدين خليل: عماد الدين زنكي، بيروت، ١٩٨٢م، ص ص١٤٢-١٤٣؛ فايد حماد عاشور: جهاد المسلمين في الحروب الصليبية، بيروت ١٩٨٥م، ص ص١٩٢-١٩٥.

(٣) وُلد نيكتاس خونياتس بين عامى ١١٥٥و ١١٥٧م فى مدينة خوناي Chonai بفريجيا Phrygia، ثم التحق بالعمل ككاتب فى الديوان الخاص بالإمبراطور الكسيوس الثانى كومنين (١١٨٠- ١١٨٣م)، والإمبراطور اسحق الثانى أنجليوس (١١٨٥- ١١٩٥م)، وفى عام ١١٨٩م تولى حكم ولاية فيليبوبوليس Philippopolis، وباستيلاء اللاتين على القسطنطينية عام ١٢٠٤م فقد منصبه وكل ما يملكه، ففر إلى نيقية حيث عاش فى كنف الإمبراطور تيودور الأول لاسكاريس (١٢٠٤- ١٢٢٢م)، حتى وفاته عام ١٢١٧. انظر: Kazhdan , A., *The Oxford Dictionary of Byzantium*, Oxford 1991, Vol. I, p. 428.

(٤) حنا كناموس: ولد عام ١١٤٤، وتوفى عام ١٢٠٣م، عمل سكرتيراً للإمبراطور مانويل كومنين، وكتب تاريخا سجل فيه أعمال كل من حنا الثانى كومنين ومانويل الأول كومنين. أنظر دونالد نيكول: معجم التراجم البيزنطية، القاهرة ٢٠٠٣، ص٢٥٦- ٢٥٧.

كومنين إلى القيام بهذه الحملة، ثم التطرق إلى الاستعدادات التى قام بها من أجل إنجاح هذه الحملة، والحديث عن موقف حاكم شَيزَر وأهلها، والدور البطولى الذى قاموا به من أجل التصدى لهذه الحملة. وكذلك الحديث عن الدور الذى قام به الأمير عماد الدين زنكى فى الدفاع عن شَيزَر على الرغم من أنها لم تكن تابعة له. وأخيرا كيف تجمعت عوامل عدة أدت إلى أن يتخذ حنا الثانى قرارا برفع الحصار عن شَيزَر والرحيل عنها عائدا إلى أنطاكية. وخلال ذلك يتم توضيح دور الفرنج فى هذه الحملة، وهل كانت لهم مشاركة فعالة أم كانت مشاركتهم مشاركة اسمية. وأخير الحديث عن النتائج التي ترتبت على هذه الحملة.

مَثَّل موقع مدينة شَيزَر Shaizar أهمية كبيرة فى فترة العصور الوسطى عند كل من المسلمين والروم والفرنج، وهى القوى التى تصارعت فى بلاد الشام فى تلك الفترة، ذلك أنها مدينة تبعد عن أنطاكية نحو ستة وثلاثين ميلا[١]، تُعد من أعمال حمص[٢]، يمر بها نهر العاصى[٣]، ذات قلعة حصينة، ويقرر المؤرخ والجغرافى عماد الدين أبوالفدا أنها تتمتع بوفرة فى الخيرات، فيها أشجار وبساتين وفواكه كثيرة[٤].

أما ابن الأثير، وهو مؤرخ معاصر عاش فى منطقة بلاد الشام والجزيرة، فيصف شَيزَر بقوله: "هذا الحصن قريب من حماه، بينهما نصف نهار، وهو على جبل عال منيع لا يسلك إليه إلا من طريق واحد" [٥]. ويشي وصف ابن الأثير بأن شَيزَر تمتعت بموقع ممتاز، ذات قلعة حصينة، مما دفع مختلف القوى إلى التصارع لامتلاكها، فهى تتحكم فى الطريق المؤدى إلى جنوب بلاد الشام، لذلك بعد أن فتحها المسلمون عام ١٧هـ/ ٦٣٨م على يد أبوعبيدة عامر بن الجراح[٦]، بذل الروم جهدا كبيرا من أجل استعادتها، ونجحوا فى ذلك عام ٣٨٩هـ/ ٩٩٩م،

---

(١) أبوالفدا: تقويم البلدان، نشر المكتبة الثقافية، القاهرة ٢٠٠٧، ص٣٠١.

(٢) ياقوت الحموى: معجم البلدان، نشر دار صادر، بيروت ١٩٥٧، ج٣، ص٣٨٣، الحميرى: الروض المعطار فى خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، لبنان ١٩٨٤، ص٣٥٢.

(٣) نهر العاصى يخرج من بحيرة قدس ويصب فى البحر قرب أنطاكية، يطلق عليه اسم نهر الأورنت أو الارنط أو المقلوب، وسُمى بذلك لأنه يجرى من الجنوب إلى الشمال بعكس سائر الأنهار. انظر عز الدين بن شداد: الأعلاق الخطيرة فى ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق : يحيي زكريا عَبَّارة، دمشق ١٩٩٦، ج١، ق٢، ص٣٥٤– ٣٥٥.

(٤) تقويم البلدان، ص٣٠١.

(٥) الكامل فى التاريخ، نشر دار صادر، بيروت ١٩٦٦، ج١١، ص٢١٩؛ انظر أيضا: Stevenson, W.B., *The Crusaders in the East*, Cambridge, 1968, p.141.؛ ومن الدراسات الحديثة التي أهتمت بحصانة شيزر: Deschamps, P., *La Défense du comté de Tripoli et de la principauté d'Antioche*, Paris, 1973, p.114f.

(٦) الواقدى: فتوح الشام، تحقيق: هاني الحاج، القاهرة، د. ت، ج١، ص١٥٥– ١٥٧. أبو عبيدة عامر بن الجراح: هو عامر بن عبدالله بن الجراح بن هلال بن أهيب ينتهي نسبه إلى قريش، أحد السابقين إلى الإسلام، اشترك في الكثير من

عندما استطاع الإمبراطور باسيل الثانى المقدونى (٩٧٦-١٠٢٥م) بسط نفوذه عليها[١].

ولأهمية شَيزَر وموقعها الحصين، ولكونها مشرفة على الطريق المؤدى إلى جنوب بلاد الشام، بذل المسلمون جهدا كبيرا من أجل بسط نفوذهم عليها، ونجح فى ذلك أمراء بنى منقذ، فمنذ أن وطأت أقدامهم شمال الشام -بعد أن منح الأمير صالح بن مرداس حاكم حلب[٢] (٤١٥-٤٢٠هـ/ ١٠٢٤- ١٠٢٩م) إقطاعا لأحد أمراء بنى منقذ بجوار شَيزَر عام ٤١٦هـ/ ١٠٢٥م- أخذ أمراء بنو منقذ فى التوسع فى تلك المنطقة، حيث استولى الأمير مقلد بن نصر بن منقذ على كفر طاب عام ٤٣٣هـ/ ١٠٤١م [٣]، ثم مد نفوذه إلى نهر العاصى، وبنى حصن الجسر بالقرب من شَيزَر. ثم استطاع ابنه عز الدولة أبوالحسن على سديد الملك أن يسترجع شَيزَر من يد الروم عام ٤٧٤هـ/ ١٠٨١م زمن الإمبراطور الكسيوس الأول كومنين (١٠٨١- ١١١٨م) Alexius I Komnenos[٤].

معارك الفتوح الإسلامية، كان موصوفًا بحسن الخُلق وبالحلم الزائد والتواضع، توفى عام ١٨هـ/٦٣٩م، وله ثمان وخمسون سنة. انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء، تحقيق: بشار عواد، بيروت ١٩٨٥م، ج١، ص٥-٢٣. باسيل الثانى المقدونى: هو ابن الإمبراطور رومانوس الثانى، وعند وفاة والده عام ٩٦٣م كان عمره سبع سنوات، فتولى الوصاية عليه نقفور فوقاس الذى تزوج بوالدته، وبعد مقتل الأخير على يد أخيه حنا تزمسكس عام ٩٦٩م وتولية الأخير لحكم الإمبراطورية ثم حفظ حق باسيل الثانى فى العرش، وبعد وفاة حنا تزمسكس عام ٩٧٦م انفرد باسيل الثانى بالحكم الذى استمر حتى عام ١٠٢٥م. انظر: سيد أحمد الناصرى: الروم، القاهرة ١٩٩٣م، ص٣٢٤- ٣٤؛ Ostrogorsky, *Byzantine State*, pp. 264–279.

(١) يحيى بن سعيد الأنطاكى: التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت ١٩٠٩، ص١٨٢- ١٨٣؛ انظر أيضًا : السيد الباز العرينى: تاريخ الدولة البيزنطية، بيروت ١٩٨٢، ص٦٧٤- ٦٧٥. لمزيد من التفاصيل عن موقع شيزر وحصانتها أنظر، حجازي عبد المنعم، إمارة شيزر في عصر بني منقذ ٤٧٤-٥٥٢هـ/١٠٨١-١١٥٧م، القاهرة، ٢٠١٤م، ص٤٠-٤٣.

(٢) زامباور: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى، ترجمة زكي محمد حسن وآخرون، القاهرة ١٩٥٢م، ج١، ص٥١. صالح بن مرداس : هو أسد الدولة أبو على صالح بن مرداس بن أدريس الكلابى، استولى على حلب من يد الحمدانيين، وحاربه الفاطميون، وقُتل عند الاقحوانية بفلسطين بالقرب من طبرية عام ٤٢٠هـ/ ١٠٢٩م. ابن خلكان: وفيات الأعيان، تحقيق: إحسان عباس، بيروت ١٩٧٧م، ج٢، ص٤٨٧- ٤٨٨.

(٣) مقلد بن نصر: هو أبو الفتوح مقلد مخلص الدولة نصر بن منقذ الكتانى الكلبى يقول عنه ابن خلكان كان رجلا نبيلا، رزق السعادة فى بنيه وحفدته، توفى عام ٤٥٠هـ/١٠٥٨م. وفيات الأعيان، ج٥، ص٢٧٩- ٢٧٠. كفر طاب: بلدة بين المعرة ومدينة حلب. ياقوت: معجم البلدان، ج٤، ص٤٧٠.

(٤) أسامة بن منقذ: كتاب الاعتبار، تحرير فيليب حتى، New Jersey 1930، ص ح- خ، ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ج١١، ص٢١٩. أبوالحسن على بن مقلد بن نصر بن منقذ الكنانى الملقب سديد الملك، توفى عام ٤٧٥هـ/ ١٠٨٢م. انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٣، ص٤٠٩، انظر أيضا: زامباور: معجم الأنساب، ج١، ص١٦٥، سهيل زكار: مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية، دمشق ١٩٧٥، ص١٨٦- ١٨٧. الكسيوس

وعلى هذا النحو وضع بنو منقذ أيديهم على مدينة وقلعة شَيزَر، وتوالى على حكمها أبناء هذه الأسرة. فبعد وفاة سديد الملك تولى ابنه عز الدولة أبو المرهف نصر حكم شَيزَر، واستمرت فى يده حتى وفاته عام ٤٩١هـ/ ١٠٩٨م، فاستخلف أخاه أبو سلامة مرشد بن على والد الكاتب والفارس أسامة بن منقذ، لكن أبو سلامة اعتذر عن تولى حكم شَيزَر لانشغاله بالقراءة والأدب والصيد، وتنازل عن حكمها لأخيه الأصغر سلطان بن على[١].

غير أنه حدث خلاف بين الأخوين مرشد وأولاده، وسلطان وأولاده، الأمر الذى دفع أولاد مرشد بعد وفاة والدهم (عام ٥٣١هـ/ ١١٣٧م) إلى مغادرة شَيزَر متجهين إلى السلطان نور الدين محمود شاكين له حالهم، وعزم نور الدين على وضع يده على شَيزَر لكنه خشى استنجاد أبناء سلطان بالفرنج، واستمر ذلك إلى أن أصاب شَيزَر زلزال مدمر عام ٥٥٢هـ/ ١١٥٧م حيث أوقع خسائر كبيرة بالقلعة وأسوار المدينة، مما دفع نور الدين إلى أن يضع يده عليها، ويعيد بناءها من جديد[٢].

وخلال مدة حكم بنو منقذ لشَيزَر حافظوا عليها من السقوط فى يد الروم، أو الفرنج، كما حافظوا على استقلالهم عن سائر القوى الموجودة ببلاد الشام والجزيرة، وساعدهم فى ذلك حصانة ومناعة شَيزَر، بالإضافة إلى دبلوماسية بني شَيزَر[٣].

غير أن كل ذلك لم يقف حائلا دون تطلع الأباطرة البيزنطيين لوضع أيديهم على شَيزَر،

الأول كومنين : ينتمى الكسيوس الأول إلى أسرة عسكرية أرستقراطية، عمه الإمبراطور اسحق كومنين تولى عرش الإمبراطورية البيزنطية بين عامى ١٠٥٧م، و ١٠٥٩م، تولى الكسيوس حكم الإمبراطورية البيزنطية عام ١٠٨١م واستمر فى الحكم حتى عام ١١١٨م. انظر : Anna Comnena, *The Alexiad*, London 1928, pp. 141–142. See also: Baynes , N.H., *The Byzantine Empire*, London, 1958, pp. 56–57.

(١) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ج١١، ص٢١٩– ٢٢٠. سلطان بن على : هو تاج الدولة عز الدين سلطان بن على بن مقلد بن منقذ أبوالعساكر، ولد عام ٤٩١هـ/ ١٠٩٨م، وتوفى عام ٥٥٢هـ/ ١١٥٧م، على أثر الزلزال الذى دمر شيزر، وصفه الصفدى بقوله: "كان شجاعا ذا سياسة ورياسة وحزم. انظر: الوافى بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وآخرون، بيروت ٢٠٠٠، ج١٥، ص١٨٦. أبوسلامة مرشد بن على مجد الدين، ولد عام ٤٦٠هـ/ ١٠٦٨م، وتوفى عام ٥٣١هـ/ ١١٣٧م. انظر :زامباور: معجم الأنساب، ج١، ص١٦٥. مدح المؤرخ السريانى المجهول بنو منقذ بقوله: "وكانوا كرماء الأصل، طبيعتهم حب الخير، والمصالحة، لا ينوون لأحد شر". انظر المؤرخ السريانى المجهول، نشر د. سهيل زكار ضمن كتاب الحروب الصليبية، دمشق ١٩٨٤، ج٢، ص٥٠١.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج١١، ص٢٢٠– ٢٢١. نور الدين محمود : هو أبوالقاسم محمود بن عماد الدين زنكي بن أق سنقر، الملقب الملك العادل نور الدين محمود، ولد عام ٥١١هـ/ ١١١٧م، وتوفى عام ٥٦٩هـ/ ١١٧٣م، تولى حكم حلب بعد وفاة والده عام ٥٤١هـ/ ١١٤٦م. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٥، ص١٨٤– ١٨٨.

(٣) أشار أسامة بن منقذ إلى بعض الأساليب الدبلوماسية التى اتبعها حكام شَيزَر للحفاظ على استقلالهم، ومنها تأديتهم لبعض الأموال للفرنج. انظر كتاب الاعتبار، ص١٢٠– ١٢١.

ذات الموقع الجغرافى الممتاز، ولما تتمتع به من وفرة فى الخيرات، وتعتبر حملة الإمبراطور حنا كومنين على شَيزَر عام ٥٣٢هـ/ ١١٣٨م من أهم المحاولات التى قام بها الروم من أجل الاستيلاء على شَيزَر.

لقد وجد الإمبراطور حنا الثانى أن مختلف الظروف مهيأة له للقيام بالاستيلاء على شَيزَر فى تلك الفترة، أولاً : تلك الاتفاقية التى عقدها حنا الثانى كومنين مع أمير أنطاكية ريمون دى بواتييه Raymond of Poitiers عام ١١٣٧م/٥٣١هـ،[١] والتى تعهد فيها الأخير بأن يصبح تابعا للإمبراطور البيزنطى[٢]، كما نصت الاتفاقية على أنه فى حالة الاستيلاء على مدن مثل حلب أو شَيزَر أو حماة أو حمص من يد المسلمين، فإن ريمون دى بواتييه يترك حكم أنطاكية للإمبراطور البيزنطى، ويتولى حكم إحدى هذه المدن[٣]. وبذلك يتحقق حُلم الدولة البيزنطية القديم فى استرداد أنطاكية.

وجدير بالذكر أن الدولة البيزنطية كانت تطمع فى وضع يدها على أنطاكية منذ أن جاءت الحملة الصليبية الأولى إلى الشرق، ودخل الإمبراطور الكسيوس الأول كومنين فى صراع مع الأمير بوهيموند الأول النورماني الذى استولى على أنطاكية، إلا أن الأخير استطاع بدهائه ومكره أن ينفرد بحكم أنطاكية دون الإمبراطور الكسيوس كومنين[٤].

كذلك؛ مما جعل الظرف مواتيا لحنا كومنين لشن حملته على شيزر وقوف قوات من الإفرنج اللاتين إلى جانبه، إذ يؤكد كل من نيكتاس خونياتس وحنا كيناموس على أن الإمبراطور

---

(١) ريمون دى بواتييه هو الابن الأصغر للكونت وليم التاسع دوق أكوتين، حضر إلى الشرق وتزوج الأميرة كونستانس Constans ابنة بوهيموند الثانى حاكم أنطاكية (١١٢٦– ١١٣٠م) ووريثته الوحيدة، وبذلك أصبح حاكما على أنطاكية. انظر: وليم الصورى: الأعمال المنجزة فيما وراء البحار، ترجمة سهيل زكار، بيروت ١٩٩٠م، ج٢، ص٦٦٣، انظر أيضا:. Stevenson, *The crusaders in the East*, p. 135

(١٩) John Kinnamus, *The Deeds of John and Manuel Comnenus*, New York, 1976, p. 24.

(٢٠) John Kinnamus, *The Deeds*, p. 24.؛ وليم الصورى: الأعمال المنجزة، ج٢، ص٦٩٣، انظر أيضا: محمود سعيد عمران: السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية فى عهد الإمبراطور مانويل كومنين، القاهرة ١٩٨٥، ص٩١. حلب: يقول عنها أبوالفدا: "بلدة عظيمة قديمة ذات قلعة مرتفعة حصينة، وبها مقام إبراهيم الخليل" وهى عاصمة شمال الشام. انظر: تقويم البلدان، القاهرة ٢٠٠٧م، ص٣٠٦. حماة: مدينة قديمة، يستدير عليها نهر العاصى، ص٣٠٦ ولها قلعة حصينة مرتفعة. أبوالفدا: تقويم البلدان، ص٣٠٢. حِمص: مدينة قديمة، بين دمشق وحلب. ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج٢، ص٣٠٢. وعن هذه الاتفاقية في المصادر اللاتينية المعاصرة، انظر: Lilie, R-J., "The Treaty of 1137 between Byzantium and the Princedom of Antioch according to Ordericus Vitalis and William of Tyre", in: Idem, *Byzantium and the Crusader States 1096-1204*, trans. J.C. Morris & J.E. Ridings, Oxford, 1993, pp.298-308.

(٢١) Anna Comnena, *The Alexiad*, p. 268–280.

حنا كومنين تلقى مساعدات من كل من ريمون دى بواتييه حاكم أنطاكية، وجوسلين الثانى أمير الرها[١]، وهو الأمر الذى جعل حنا كومنين "لا يُفَوّت هذه الفرصة" على حد قول المؤرخ حنا كناموس. فقام بشن هجوما وبصحبته هذه القوات على المدن الواقعة فى شمال الشام[٢]. كذلك يؤكد المؤرخ الصليبي المعاصر وليم الصورى على تقديم الفرنج المساعدات للإمبراطور حنا الثانى بقوله: "وما أن علم الأمير- أى ريمون دى بواتييه- والكونت- أى جوسلين الثانى- بهذا الأمر، حتى بادرا إلى جمع قواتهما من جميع أقاليمهما ولحقا بالإمبراطور بالسرعة الممكنة"[٣].

وتتحدث المصادر الإسلامية أيضا عن مشاركة الفرنج فى هذه الحملة، فعلى سبيل المثال يقول ابن القلانسى: "وفى يوم الأربعاء الخامس من شعبان- عام ٥٣٢هـ/ ١١٣٨م- نزل الروم أرض الناعورة، ورحلوا عنها فى يوم الخمس ثامنه، واجتازوا بحلب، ومعهم عسكر أنطاكية ومقدمهم ريمند صاحبها- أى ريمون دى بواتييه- وابن جوسلين- أى جوسلين الثانى- فنزلوا على حلب"[٤].

---

(٢٢) Niketas Choniaes, *O City of Byzantium, The Annals of Nicetas Choniates,* trans. H. Magoulias, Detroit, 1984, p. 29; John Kinnamus, *The Deeds*, p. 24.؛ جوسلين الثانى: هو ابن جوسلين الأول، تولى حكم إمارة الرها الصليبية بعد وفاة والده عام ٥٢٥هـ/ ١١٣١م، واستمر فى حكمها حتى وقع فى أسر طائفة من التركمان عام ٥٤٥هـ/ ١١٥٠م، فأخذه منهم نور الدين محمود، وكحل عينيه بالنار وسجنه بحلب، واستمر سجينا حتى وفاته بعد تسع سنوات. انظر ابن القلانسي: تاريخ دمشق، تحقيق: سهيل زكار، دمشق ١٩٨٣، ص٤٨١، أبو شامة: الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: محمد حلمي محمد أحمد، القاهرة ١٩٩٨م، ج١، ق١، ص١٨٤.

(٢) يقول حنا كناموس: " كان الإمبراطور حنا يكره أن تضيع الفرصة التى تهيأت له، فقام ومعه هذه القوات بالهجوم على أعالى سورية". John Kinnamos, *The Deeds*, p. 24. . ويقرن الباحث الألماني رالف جوناثان لايلي Ralph-Jonathan Lilie بين بسط حنا كومنين سيادته على أنطاكية وتحالفه مع هذه القوى الصليبية واتجاهه نحو الاستيلاء على حلب وشيزر، ويفسر ذلك بقوله: "إن احتلال حلب وشيزر وغيرهما من المدن كان من شأنه أن يضفي على الإمبراطور البيزنطي مجد الصليبي المنتصر ويرفع من مكانة إمبراطوريته في الغرب. لقد قر في عقل حنا أنه يستطيع تحقيق ذلك كله بحملة واحدة... كذلك؛ فإن ولاية بيزنطية في شمال الشام، تعتمد على تحالف الكيان الصليبي، وتمتد من اللاذقية جنوبا إلي مرعش والرها شمالا وشرقا حتى قبادوقيا من شأنها أن تشكل تهديدا حقيقيا لسلاجقة قونية". *Lilie, R-J., Byzantium and the Crusader States 1096-1204*, trans. J.C. Morris & J.E. Ridings, Oxford, 1993, p.123.

(٣) الأعمال المنجزة، ج٢، ص٦٩٥. وليم الصورى : سليل أسرة من المستوطنين الفرنج ببيت المقدس، ولد بها عام ١١٣٠م، نال تعليما دينيا، شغل منصب رئيس أساقفة صور منذ عام، ١١٧٥م إلى حين وفاته عام ١١٨٥م. انظر وليم الصورى: الأعمال المنجزة، ج١، ص٧٠- ٧٣.

(٤) تاريخ دمشق، ص٤١٦- ٤١٧. الناعورة: مكان بين حلب وبالس، وبينها وبين حلب ثمانية أميال. انظر: ياقوت: معجم البلدان، ج٥، ص٢٥٣.

وعلى هذا فلا صحة للرأى القائل بأن الإمبراطور البيزنطى حنا كومنين لم يفكر فى تلك الفترة فى مهاجمة المسلمين فى شمال الشام، وذلك بسبب عدم تلقيه مساعدات حربية من جانب الفرنج[١]. ومن ناحية أخرى؛ يبدو أن مشاركة الفرنج للإمبراطور البيزنطى فى هذه الحملة دفعت بعض الباحثين إلي نعت هذه الحملة باسم "حملة الروم والفرنج"، غير أن هذه الحملة وإن كان الفرنج قد اشتركوا فيها، كما سبق توضيحه، فإنما كان ذلك مشاركة إسمية، كما سيتضح ذلك فيما بعد.

كذلك؛ كان للاستغاثة التى قام بها رجال الدين الفرنج من قُسس ورهبان، أثره فى دفع حنا الثانى كومنين للقيام بهذه الحملة. فبعد استيلاء عماد الدين زنكى على حصن بارين (بعرين) عام ٥٣١هـ/ ١١٣٧م، خشى الفرنج فى شمال بلاد الشام من استثمار عماد الدين زنكى هذا الانتصار وقيامه باستئصال شأفتهم من بلاد الشام[٢]، ويذكر ابن واصل إلى أنه "لما مضت القسس والرهبان إلى بلاد الشام واستنفروهم على المسلمين بسبب عماد الدين ومنازلته بارين، وخوفوهم من أخذها واستئصال من فيها، فتجهز الروم فى البحر من قسطنطانية، وساروا إلى أنطاكية"[٣].

ومن الأسباب التي دفعت حنا كومنين إلي شن هذه الحملة أيضا، ما اعتقده من أن عماد الدين زنكى لن يهرع لنجدة شَيزَر لكونها لا تتبعه، حيث أنها إمارة مستقلة تحت حكم تاج الدولة عز الدين سلطان بن على بن منقذ[٤]. هذا فضلا عن موقع شَيزَر الذى يجعل من يسيطر عليها مشرفا على الوادى الأوسط لنهر العاصى، وفى نفس الوقت فإنه إذا استطاع الإمبراطور حنا الثانى السيطرة على شَيزَر، فهو بذلك يمنع عماد الدين زنكى من التقدم نحو جنوب بلاد الشام[٥]. وعلى هذا

---

(١) حسنين محمد ربيع: دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية، القاهرة ١٩٩٣م، ص٢١٦- ٢١٧. وعن تحالف الإمبراطور البيزنطى حنا الثانى والفرنج انظر:

Smail, R.C., *Crusading Warfare*, London, 1967, p. 33.

(٢) حصن بارين، يطلق عليه العامة اسم بعرين، ويقع بين حماة وحلب. انظر: ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج١، ص٣٢٠- ٣٢١. عماد الدين زنكى : هو ابن قسيم الدولة آقسنقر الحاجب التركى، تولى والده حكم حلب نيابة عن تاج الدولة تتش حاكم بلاد الشام، ثم قتل عام ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م، تاركا عماد الدين وله من العمر أحد عشر سنة، فقام بتربيته أصدقاء والده، وبعد أن اشتد عوده تولى عدة وظائف، ثم تولى حكم حلب والموصل وحمص وبعلبك، قتل عام ٥٤١هـ/١١٤٦م. انظر: الذهبى: العبر فى خبر من غبر، تحقيق: أبو هاجر محمد، بيروت د ت، ج٢، ص٤٥٩- ٤٦٠، اليافعي: مرآة الجنان وعبرة اليقظان، وضع حواشيه خليل المنصور، بيروت، ١٩٩٧م، ج٣، ص٢٠٩- ٢١٠.

(٣) مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب، ج١، تحقيق: جمال الدين الشيال، القاهرة ١٩٥٧، ص٦٧.

(٤)أسامة بن منقذ: كتاب الاعتبار، ص٢، انظر أيضا: محمود سعيد عمران: السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية، ص٩٣.

(٥) رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، بيروت، ١٩٦٨م، ج٢، ص٣٤٥.

النحو تهيأت للإمبراطور حنا الثانى كومنين مجموعة من الأسباب التى دفعته للقيام بحملته على شمال الشام، وكما يقول المؤرخ البيزنطى حنا كناموس، فإنه أراد ألا يضيع هذه الفرصة الثمينة التى تهيأت له[١].

وما أن استقر رأى حنا كومنين على القيام بالحملة المنشودة على شمال بلاد الشام، حتى أصدر أوامره بالاستعداد وحشد القوات اللازمة، وتجهيز آلات الحصار الكافية لمحاصرة قلاع شمال الشام وحصونها المنيعة، بالإضافة إلى إبلاغ حلفائه الفرنج للاستعداد للمشاركة فى تلك الحملة[٢]. وحتى يضمن الإمبراطور حنا كومنين سرية تحركاته وتحركات حلفائه الفرنج، أصدر قراره بأن يتم إخلاء أنطاكية ممن بها من المسلمين، فما كان من ريمون دى بواتييه إلا أن أصدر أوامره بترحيل التجار والسفراء المقيمين بأنطاكية من الحلبيين فى شهر جمادى الآخرة من عام ٥٣٢هـ/ فبراير ١١٣٨م[٣].

وبدأ حنا كومنين منذ أواخر عام ٥٣١هـ/ ١١٣٧م فى التحرك من القسطنطينية على رأس جيشه، حيث حملته السفن التى عبرت مياه البسفور والدردنيل إلى آسيا الصغرى، ورسى عند مدينة أنطالية، ومنها اتجه إلى مدينة نيقية، ثم اتجه إلى مدينة آذنة، ومنها إلى مدينة المَصِّيصَة، وبعدها اتجه إلى عين زربة، ومنها إلى أنطاكية، حيث تقابل مع ريمون دى بواتييه، وقد استغرقت هذه الرحلة منذ خروجه من القسطنطيينة حتى وصوله إلى أنطاكية قرابة ستة أشهر، حيث بلغ أنطاكية فى شهر رجب عام ٥٣٢هـ/إبريل ١١٣٨م[٤].

كذلك أراد الإمبراطور أن يخدع زنكى، فأرسل إليه رسولا يحمل بعض الهدايا، وأكد له أنه لن يتعرض لممتلكاته فى حملته المقبلة، وذلك حتى لا يأخذ زنكى حذره ويستعد لمواجهته[٥].

---

(٣١) Kinnamos, *The Deeds*, p. 24.

(٣٢) Niketas Choniates, *Annals*, p. 29.

(٣) ابن القلانسى: تاريخ دمشق، ص٤١٤، انظر أيضا: Stevenson, *The crusaders in the East*, p.140

(٤) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ج١١، ص٥٣. أنطالية: ميناء على شط بحر القسطنطينية، بها حصن منيع. ياقوت: معجم البلدان، ج١، ص٢٧٠، انظر أيضًا: لسترنج: بلدان الخلافة الإسلامية، بيروت ١٩٨٥، ص١٨٣– ١٨٤. نيقية: تقع مدينة نيقية فى آسيا الصغرى، عُقد بها أول مجمع دينى فى تاريخ المسيحية عام ٣٢٥م. انظر: ياقوت: معجم البلدان، ج٥، ص٣٣٣، القزوينى: آثار البلاد وأخبار العباد، نشر دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ١٩٧٩، ص٦٠٨. آذنة: إحدى الثغور بالقرب من المصيصة. ياقوت: معجم البلدان، ج١، ص١٣٢– ١٣٣. المَصِّيصَة: إحدى الثغور تقع على شاطئ نهر جيحان، بين أنطاكية وبلاد الروم بالقرب من طرسوس. ياقوت: معجم البلدان، ج٥، ص١٤٤– ١٤٥.عين زَرْبَة: ويقال عنها أيضا عين زربى، بلد بالثغور من نواحى المصيصة وتقع بين مسيس وتل حمدون. ياقوت: معجم البلدان، ج٤، ص١٧٧– ١٧٨، أبوالفدا: تقويم البلدان، ص٢٨٤.

(٥) ابن العديم: زبدة الحلب، من تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، دمشق ١٩٩٧م، ج٢، ص٤٥٥. انظر أيضا:

اتجهت جيوش حنا الثانى وحلفائه من الفرنج فى اتجاه الجنوب، حيث وصل إلى حصن بُزاعة[١]، فى٢١ رجب من نفس العام/ ٧ إبريل ١١٣٨م. ويذكر ابن العديم، أن هذا الحصن لم يكن شديد التحصين، ولم يكن به حراسة كافية، كما كانت تحكمه امرأة[٢].

نصب الإمبراطور حنا الثانى المجانيق حول حصن بُزاعة، وشدد الحصار عليه، ونتيجة قلة من به من الجنود، اضطر أهله إلى الاستسلام فى يوم السبت ٢٥ رجب ٥٣٢هـ/ ٩ إبريل ١١٣٨م[٣]، وإذا كان الإمبراطور حنا الثانى قد أَمَّنَ أهل بُزعة إلا أنه لم يلبث أن غدر بهم "فقتل منهم وأسر وسبى، ولم يكتف بذلك وإنما تتبع من اختفى منهم واختبأ فى المغارات، ويذكر العظيمى أن الروم "دخلوا عليهم، وهلكوا فى المغاور"[٤]. وقد أشار ابن القلانسى إلى أن عدد من قُتل بحصن بُزاعة بلغ "خمسة آلاف وثمانمائة نفس"، كما يذكر أيضا أنه نتيجة خوف أهل بُزاعة من القتل، تنصر عدد كبير منهم بلغ أربعمائة نفس من بينهم قاضى بُزاعة !![٥]. وقد غَنم حنا الثانى غنائم كثيرة من هذا الحصن، لدرجة أن المؤرخ البيزنطى حنا كناموس يذكر أنه بلغ من كثرة هذه الغنائم أن أرسل حنا الثانى بعضا منها إلى أنطاكية[٦].

وبعد أن أقام إمبراطور الروم داخل بُزاعة عشرة أيام رحل عنها وبصحبته ريمون دى بواتييه حاكم أنطاكية وجوسلين الثانى أمير الرها ومعه أيضا مجموعة كبيرة من أسرى بُزاعة[٧]، وفى ٥ شعبان عام ٥٣٢هـ/ ١٩ إبريل ١١٣٨م، اتجه صوب حلب[٨]، منتهزا فرصة انشغال عماد الدين زنكى بمحاصرة حمص.[٩] غير أن حلب كانت قد استعدت لهم. فعندما علم عماد

عماد الدين خليل: عماد الدين زنكى، بيروت، ١٩٨٢م، ص١٤٤.

(١) ميخائيل السريانى الكبير: تاريخه، ترجمة مار غريغوريوس صليبا شمعون، حلب ١٩٩٦، ج٣، ص٢١٧، ابن العديم: زبدة الحلب، ج٢، ص٤٥٦؛ Niketas Choniates, *Annals*, p. 29. حصن بُزاعة: بلدة من أعمال حلب فى وادى بُطنان بين منيج وحلب. ياقوت: معجم البلدان، ج١، ص٤٠٩. تبعد عن حلب ستة فراسخ. النويرى: نهاية الأرب فى فنون الأدب، ج٢٧، تحقيق: سعيد عاشور، القاهرة ١٩٨٥م، ص١٣٤.

(٢) زبدة الحلب، ج٢، ص٤٥٦. يفسر رنسيمان قيام امرأة بشأن حصن بزاعة، بأنها كانت زوجة قائد الحصن. انظر تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، ص٣٤٤.

(٣) ابن القلانسى: تاريخ دمشق، ص٤١٦، النويرى: نهاية الأرب، ج٢٧، ص١٣٥.

(٤) تاريخ العظيمى: نشر Cahen فى مجلة: *Journal Asiatique* 230 (1938), p. 44.

(٥) تاريخ دمشق، ص٤١٦. ذكر عز الدين بن شداد أنه نادى منادى الإمبراطور: "من تنصر منهم فهو آمن، ومن أبى فهو مقتول أو مأسور". الأعلاق الخطيرة فى ذكر أمراء الشام والجزيرة، ج١، ص١٢٣.

(٦) Kinnamos, *The Deeds*, p. 24.

(٧) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ج١، ص٥٧.

(٨) Niketas Choniates, *Annals*, p. 29.

(٩) ابن العديم: زبدة الحلب، ج٢، ص٤٥٦- ٤٥٧.

الدين زنكى بزحف الروم والفرنج، بعد أن حضر إليه وهو على حمص جماعة من أعيان حلب واستغاثوا به[١]، فأرسل قائده سيف الدين سوار على رأس خمسمائة فارس ومعه عدد من كبار القادة وجمعا كبيرا من الجنود[٢]، وذلك لتتقوى بهم حامية حلب، وليكونوا فى استقبال هذه الحملة، ويعملوا على صدها.

وبالفعل ما أن وصلت حملة حنا الثانى كومنين إلى حلب فى ٦ شعبان ٥٣٢هـ/ ٢٠ إبريل ١١٣٨م، حتى وجدوها محصنة تحصينا جيدا، مليئة بالقوات[٣]، ففرضوا عليها الحصار، ويذكر ابن العديم أن الإمبراطور حنا الثانى نصب خيمته من الجهة القبلية على نهر قُويق، وأخذت جنوده فى مناوشة القوات الحلبية[٤]. وأسفرت هذه المناوشات عن إنزال أضرار بالغة بجيوش المعتدين من الروم والفرنج، فقد تصدى لهم القائد سيف الدين سوار وأنزل بهم هزائم متتالية، بالإضافة إلى أن أحداث حلب خرجوا إليهم وقاتلوهم[٥]، ويشير ابن العديم إلى أنه "قُتل من الروم مقدم كبير"، مما أدى إلى رجوعهم إلى معسكراتهم خائبين، وأدى هذا أيضا إلى أن قرر الإمبراطور حنا الثانى رفع الحصار عن حلب، بعد ثلاثة أيام فقط من نزوله عليها[٦].

فى صبيحة يوم الثامن من شعبان عام ٥٣٢هـ/ ٢٢ إبريل ١١٣٨م اتجه الإمبراطور حنا الثانى بمن معه من جنود إلى صلدى القريبة من الأثارب، فخاف من بالأثارب من الجند، وهربوا منها بعد أن أشعلوا النار فى خزائنها[٧]، فما كان من حنا الثانى إلا أن أرسل سرية من

---

(١) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ج١١، ص٥٦.

(٢) ابن العديم: زبدة الحلب، ح٢، ص٤٥٦. انظر أيضا: Stevenson, *The crusaders in the East*, P. 140؛ سيف الدين سوار: هو سوار بن أيتكين أحد القادة الأتراك الذين خدموا عماد الدين زنكى وخدم قبله تاج الملوك بورى صاحب دمشق. ابن العديم: زبدة الحلب، ج٢، ص٤٤٠.

(٣) Niketas Choniates, *Annals*, p. 29.

(٤) ابن العديم: زبدة الحلب، ج١١، ص٤٥٧. نهر قُويق: أهم نهر بحلب، وله مخرجان يجتمعان عند عراز، ثم يجرى إلى دابق ويمر بمدينة حلب. انظر ابن العديم، بغية الطلب فى تاريخ حلب، بيروت د ت، ج١، ص٣٤٧، عز الدين بن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج١ ق، ص٣٢٧.

(٥) Niketas Choniates, *Annals*, p. 29.؛ النويري : نهاية الأرب، ج٢٧، ص١٣٥. أحداث حلب: هم نوع من أنواع عساكر الرديف المدنية، يعملون مثل رجال الشرطة ولكنهم مدنيون، مسئولون عن الأمن ومكافحة الحرائق، ويتم اختيارهم عادة من الشباب. وقد عرفوا فى العراق باسم الفتيان أو الشطار والعياريون. انظر دائرة المعارف الإسلامية، مادة أحداث، فلاح صالح العازمى: المنظمات الشعبية وقيام الأحداث فى بلاد الشام خلال العصر الفاطمى. رسالة ماجستير– آداب الكويت ٢٠٠٨، ص٢٨– ٣٠.

(٦) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ج١١، ص٥٦– ٥٧؛ ابن العديم: زبدة الحلب، ج٢، ص٤٥٧.

(٧) ابن العديم: زبدة الحلب، ج٢، ص٤٥٧. صلدى : قرية قريبة من الأثارب. ابن العديم: زبدة الحلب، ج٢، ص٤٥٧. الأثارب: مدينة بها قلعة حصينة تقع بين حلب وأنطاكية، من أعمال حلب، بينهما ثلاثة فراسخ. ياقوت

جيشه استولت على قلعة الأثارب، وأودعوا بها أسرى بُزاعة[١]، ثم تابع سيره إلى أن وصل إلى معرة النعمان واستولى عليها، ومنها اتجه إلى كفر طاب حيث قذفها بالمجانيق، فاضطر أهلها إلى تسليمها. ومنها اتجه حنا إلى جسر شَيزَر، فهرب أهله خوفا "وتركوه خاليا، فوصله الروم، وجلسوا فيه، ورحلوا عنه إلى شَيزَر يوم الخميس سادس عشر شعبان عام ٥٣٢هـ/ ٣٠ إبريل ١١٣٨م"[٢].

وعلى هذا النحو وصلت جيوش حنا الثانى كومنين ترافقه قوات كل من ريمون دى بواتييه وجوسلين الثانى إلى شَيزَر، وهى المدينة ذات القلعة الحصينة، والتى كانت هدف الإمبراطور حنا الثانى الأساسى من وراء هذه الحملة[٣]. وكان يحكم شَيزَر فى تلك الفترة الأمير تاج الدولة عز الدين أبو العساكر سلطان بن مقلد بن نصر بن منقذ الكنانى[٤]، وهو عم الفارس والأديب أسامة بن منقذ. وكان أبو العساكر سلطان قد استعد استعدادا تاما لمواجهة حنا كومنين، وقد وُصِف أبوالعساكر سلطان بأنه كان "شجاعا ذا سياسة ورياسة وحزم"[٥]، ولذلك منذ أن انتشر خبر خروج حنا الثانى على رأس جيوشه وبصحبته أمراء الفرنج، مهاجمين مدن وقلاع شمال الشام، أخذ أبوالعساكر سلطان فى شحن القلعة بالجنود، وجمع حوله مجموعة من الفرسان ليقفوا أمام جيش حنا الثانى كومنين وحلفائه[٦].

ومن الجدير بالذكر أن المؤرخ الصليبي المعاصر وليم الصورى بدأ حديثه عن هذه الحملة بإيضاح أهمية موقع شَيزَر، وشَبَّه موقعها بموقع أنطاكية[٧]، أى أنه جعل أهميتها لا تقل

الحموى: معجم البلدان، ج١، ص٨٩.

(١) ابن القلانسى: تاريخ دمشق، ص٤١٧. انتهز سوار فرصة مغادرة الإمبراطور الأثارب دون أن يترك بها حامية قوية، فخرج إليها، وحرر من بها من الأسرى، وعاد بهم إلى حلب. انظر ابن العديم: زبدة الحلب، ج٢، ص٤٥٧-٤٥٨؛ Niketas Choniates, *Annals*, p. 29

(٢) ابن العديم: زبدة الحلب، ج٢، ص٤٥٨. يذكر العظيمى أنه وصل إلى شَيزَر يوم ١٤ شعبان. انظر تاريخه، ص٤١٥. معرة النعمان: مدينة كبيرة قديمة من أعمال حمص بين حلب وحماة. ياقوت: معجم البلدان، ج٥، ص١٥٦. جسر شَيزَر: جسر مقام على نهر العاصى بالقرب من شَيزَر، ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ج١١، ص٢١٩.

(٣) ابن القلانسى: تاريخ دمشق، ص٤١٧، ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ج١١، ص٥٧.

(٤) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ج١١، ص٥٧. وُلد تاج الدولة عز الدين أبوالعساكر سلطان بشَيزَر عام ٤٩١هـ/ ١٠٩٨م، وتوفى بها على أثر الزلزال المدمر الذى حدث عام ٥٥٢هـ/ ١١٥٧م. انظر الصفدى: الوافى بالوفيات، ج١٥، ص١٨٦.

(٥) الصفدى: الوافى بالوفيات، ج١٥، ص١٨٦.

(٦) Niketas Choniates, *Annals*, p. 29.

(٧) الأعمال المنجزة، ج٢، ص٦٩٥.

عن أهمية أنطاكية، التى كان الأباطرة البيزنطيون يعملون جاهدين من أجل بسط نفوذهم عليها. كما أن وليم الصورى أراد أن يشير إلى أن هدف الإمبراطور حنا الثانى من وراء هذه الحملة كان الاستيلاء على شَيزَر وقلعتها، فإن وقوع شَيزَر على نهر العاصى قريبة من حماه، يجعل من يبسط يده عليها، فى مأمن من شر هجمات تأتيه من الخلف، فضلا عن كونها حاجزا لمحاولات عماد الدين زنكى من التوجه ناحية الجنوب[١].

هذا الأمر هو الذى دفع وليم الصورى إلى توضيح أهمية موقع شَيزَر ووصف حصانة قلعتها بقوله: " يقع الجزء الأكبر من المدينة فى السهل الممتد إلى النهر، إلا أن هناك جزءًا آخرًا بنى على ظهر الجبل، وتقوم القلعة فوق الأبراج المرتفعة، وهى قلعة يعتقد العموم أنها لا ترام، وتنزل الأسوار من هذا المعقل على طرفى اليمين واليسار وتطوق المدينة مع الضواحى المجاورة لها"[٢]. ولا شك في أن هذا الوصف البليغ لحصانة قلعة شَيزَر، يفسر لنا السبب فى جلب الإمبراطور حنا الثانى لهذا العدد الهائل من المجانيق، فقد أدرك حنا الثانى جيدا مدى حصانة قلعة شَيزَر، وهى التى عجز الروم عن الاستيلاء عليها منذ أن بسط بنو منقذ أيديهم عليها، كما عجز الفرنج كذلك عن النيل منها، لذلك رأى الإمبراطور حنا الثانى أن يستعد استعدادا كبيرا من أجل نجاحه فى بسط نفوذه على تلك القلعة.

وقد أشارت المصادر العربية إلي عظم هذا الاستعداد من جانب البيزنطيين، حيث يشير ابن العديم إلي أن حنا الثانى بلغ شَيزَر وفى صحبته ألف راكب- أى فارس- وألف راجل- أى من المحاربين المشاة- "ومعهم الكراع والسلاح مالا يحصيه إلا الله"[٣]. وقد بدأ حنا الثانى حربه على شَيزَر بنصبه المجانيق حولها، قَدَّر ابن العديم عددها بثمانية عشر منجنيقا كبيرا "[٤].وقد وصفها أسامة بن منقذ، وكان موجودا داخل شَيزَر أثناء تلك الحملة، بقوله: "أنها مجانيق هائلة، جاءت معهم من بلادهم ترمى الثقل"[٥] وقد قدر أسامة زنة كل حجر من هذه الأحجار بخمس وعشرين رطلا، وهو حجم كبير بالنسبة لما اعتادت المجانيق قذفه، كما روى أسامة ذلك الخراب الذى لحق بديار شَيزَر من جراء هذا القذف، وعَدَّد الدور التى لحق بها الدمار، من ذلك دار أحد

---

(١) كمال أمين حسب الله: إمارة أنطاكية الصليبية، رسالة ماجستير آداب القاهرة، عام ١٩٩٠، ص٨١، رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، ص٣٤٥.

(٢) وليم الصورى: الأعمال المنجزة، ج٢، ص٦٩٥.

(٣) زبدة الحلب، ج٢، ص٤٥٨.

(٤) زبدة الحلب، ج٢، ص٤٥٨، انظر أيضا النويرى: نهاية الإرب، ج٢٧، ص١٣٥.

(٥) كتاب الاعتبار، ص١١٣. يقصد أسامة بكلمة "الثقل" أى الحجارة ذات الثقل الكبير.

أصدقائه ويسمى يوسف بن أبى الغريب الذى هُدمت داره "علوها وسفلها بحجر واحد"[١].

أما المؤرخ البيزنطى نيكتاس خونياتس، وهو الذى تناول الحديث عن هذه الحملة بشئ من التفصيل، فيذكر أن جيش حنا الثانى كومنين ضم ثلاثة فيالق رئيسية صُنفت وفق عرق جنودها المرتزقة، وهي الكلت والبشناق والمقدونيين، بالإضافة إلى جماعات من الترك[٢]. هذا بطبيعة الحال بالإضافة إلى من انضم إليه من قوات الفرنج[٣]. وهذا هو ما دفع أبوشامة إلي القول: "خرج ملك الروم من القسطنطينية ومعه خلق عظيم لا يحصون كثرة من الروم والفرنج وغيرهم"[٤].

كما رسم خونياتس صورة حية للمعركة الحامية التى دارت أمام أسوار شَيزَر. ففى البداية أقام حنا كومنين عددً من الأسوار خارج شَيزَر لحماية القوات البيزنطية وتلك المتحالفة معها، ثم أخذت فرق الجيش البيزنطى فى تشكيل مجموعات مقاتلة تقوم بالاندفاع بقوة شديدة نحو نهر العاصى، وهم ممتطين صهوة جيادهم، شاهرين سيوفهم ورماحهم، يلوحون بها يمنة ويسرا[٥]. ويبدو أن الهدف من وراء هذه المناورات هو بث الرعب فى نفوس أهالى شَيزَر والنيل من روحهم المعنوية لدفعهم إلى الاستسلام.

---

(١) كتاب الاعتبار، ص١١٣.

(٦٥) Nicetas Choniates, *Annals*, p. 30. الكلت:Celts إحدى الشعوب التى عاشت خارج الإمبراطورية الرومانية قديما وبخاصة فى شمال أوربا، ثم تدفقوا داخل الإمبراطورية وسكنوا غالة Gaul، وبانتشار المسيحية، اعتنق الكلت المسيحية، وأسست فى إيرلندا كنيسة كلتية مشهورة، عمل بعضهم كجند مرتزقة فى الإمبراطورية البيزنطية. انظر: Baldwin, M.W., *Christianity through the thirteenth century*, London, 1971, p. 134؛ سعيد عاشور: أوربا العصور الوسطى، القاهرة ١٩٦٦، ص٧٢– ٧٥، عبدالقادر أحمـد اليوسف: العصور الوسطى الأوربية، بيروت ١٩٦٨، ص١٨٣. البشناق أو البجناق هو شعب تركى من قبائل الغُز، يعرفه البيزنطيون بالبجناك، استخدم البيزنطيون كثيرا من عناصره كجند مرتزقة. انظر ابن فضلان: رسالة ابن فضلان، تحقيق: سامي الدهان، بيروت ١٩٨٨، ص١٠٦. وانظر كذلك: Madgearu, A., "The Pechenegs in the Byzantine Army", in: *The Steppe Lands and the World Beyond them. Studies in honor of Victor Spinie on his 70th birthday*, eds. F. Curta & B. Maleon, Editura Universitatii, Alexandru Ioan Cuza, 2013, pp.207-218.؛ أما الفرقة المقدونية Macedonian Legion فهي فرقة من الفرسان تم تجنيدها من إقليم مقدونيا، أنظر: Birkenmeier, J.W., *The Development of the Komnenian Army 1081-1180*, Leiden, Boston, 2002, pp.93, 96-97. كذلك أشار ابن القلانسى إلى أن جيش حنا الثانى كومنين ضم "جماعة من كافر الترك" ويقصد ابن القلانسى بذلك جماعات من المرتزقة الخزر الأتراك غير المسلمين. انظر تاريخ دمشق، ص٤١٦ وهامش رقم ١ من نفس الصفحة.

(٢) ابن القلانسى: تاريخ دمشق، ص٤١٧، ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ج١١، ص٥٧.

(٤) الروضتين فى أخبار الدولتين، ج١، ق١، ص٨١.

(٦٨) Niketas Choniates, *Annals*, p. 29.

إلا أن هذا الأمر لم يفت فى عضد حامية شَيزَر، التى اشتبكت مع هذه المجموعات المقاتلة، ولم يقتصر دور جنود شَيزَر على صد هذه التحرشات، بل تجاوزوا ذلك إلي الهجوم على قوات حنا كومنين، حيث اندفعوا ناحية نهر العاصى فى اتجاه معسكرات البيزنطيين، منتهجين تكتيك الكر والفر بمهاجمة الفرق البيزنطية ثم الارتداد السريع للاحتماء بأسوار شَيزَر. ويشير نيكتاس خونياتس إلى أن جنود شَيزَر أوقعوا بعض الهزائم بالجيش البيزنطى، كما قاموا بسلب ونهب بعض سلاحهم وعدتهم[١].

وعندما شاهد حنا كومنين ما حل بفرقه العسكرية، أعاد ترتيب صفوف جيشه وفق إنتماء كل فرقة إلى قوميتها، وذلك حتى تزداد همة كل فرقة، وتكون حريصة على حماية أفرادها الذين ينتمون إلى قومية واحدة، وبذلك يضمن حنا الثانى صمود فرقه العسكرية أمام هجمات جنود شَيزَر[٢].ورغم ذلك استمرت مقاومة حامية شَيزَر، وكما يقول خونياتس، ظلوا لعدة أيام وهم "يصارعون يدا بيد، يصادمون ويقاتلون، ينازلون بعضهم بعضا، بين كر وفر، ومطاردات بين الجانبين"[٣]. غير أن هذه المقاومة لم تزد حنا الثانى كومنين إلا إصرارا على الاستيلاء على شَيزَر، وكما يذكر وليم الصورى فإن حنا كومنين أخذ فى إثارة حماس جنوده، فانخرط بين الصفوف، وهو متقلد سيفه، وعلى صدره درع يحميه، تغطى رأسه خوذته الذهبية، وهو يقوم بتشجيع جنوده، ويغريهم غنائم النصر[٤].

وفى نفس الوقت أيقن حنا الثانى أن حصانة أسوار شَيزَر يجعل من الصعب النيل منها إلا بعد إحداث عدة ثقوب فى أسوارها، لذلك أمر بتشديد قذفها بالمجانيق[٥]. وقد أتى هذا القذف بنتائج فى صالح الإمبراطور البيزنطى، حيث تحطمت بعض أبراج القلعة وجزء من سورها الجنوبى. ويشير أسامة بن منقذ إلى وصول بعض أحجار المجانيق إلى داخل القلعة، وقتل وإصابة بعض الأشخاص من أصدقائه: "وضربت حجر المنجنيق رجلا من أصحابنا كُسرت رجله. فحملوه إلى بين يدى عمى- عزالدين أبوالعساكر سلطان- وهو جالس فى دهليز الحصن، فقالوا: هاتوا المجبر، وكان بشَيزَر رجل صانع يقال له يحى صانع فى التجبير فحضر وجلس يجبر رجله وهو فى سترة خارج باب الحصن. فضربت الرجل المكسور حجر فى رأسه طيرته. فدخل المجبر إلى الدهليز. فقال عمى: ما أسرع ما جبرته! قال: يا مولاى جاءته حجر ثانية أغنته

---

(٦٩) Niketas Choniates, *Annals*, p. 29.

(٧٠) Niketas Choniates, *Annals*, p. 30.

(٧١) Niketas Choniates, *Annals*, p. 29.

(٤) الأعمال المنجزة، ج٢، ص٦٩٦.

(٥) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ج١١، ص٥٧.

عن التجبير"[١].

كذلك فإن هذه المجانيق أحدثت ثغرة فى سور المدينة من الجهة الجنوبية، وتسلل بعض فرق الجيش البيزنطى داخل المدينة من خلالها،[٢] ويخبرنا أسامة بن منقذ أن بعض الشيوخ رأوا تسلل عسكر الروم فصاحوا: "يا مسلمون الحريم! دخل الروم معنا" ويستطرد أسامة فيقول: "فأخذنا سيوفنا وخرجنا وجدناهم قد طلعوا من ثغرة فى السور ثغرتها المجانيق. فضربناهم بالسيوف حتى أخرجناهم وخرجنا خلفهم حتى أوصلناهم إلى أصحابهم"[٣].

ومن الجدير بالذكر فإنه نتيجة تسلل بعض الجنود الروم إلى داخل شَيزَر، اختلط الأمر على المؤرخ حنا كناموس فقال أن الإمبراطور حنا الثانى كومنين وجنوده استولوا على مدينة شَيزَر دون أن يتم الاستيلاء على القلعة.[٤] غير أن كناموس أخطأ فى ذلك، لأن بعض الجنود الروم كما سبق القول تسللوا من خلال الثغرة التى حدثت فى السور من الجهة الجنوبية[٥]، ولكن لم تلبث هذه الثُلة من الجنود أن تم طردها وإخراجها من شَيزَر[٦].

من هذا الحديث يتضح أن حاكم شَيزَر عز الدين أبوالعساكر سلطان ومن ورائه أهالى شَيزَر صمموا على الجهاد ضد حملة حنا الثانى كومنين، وكما يقول نيكتاس خونياتس أنهم "حاربوا من أجل حياتهم، وحياة أطفالهم وزوجاتهم، وما يملكون من مجوهرات من مختلف الأنواع"[٧].

وفى نفس الوقت فإنه إزاء هذا الموقف العصيب الذى أصبح فيه أهالى شَيزَر أمام إصرار حنا الثانى كومنين فى الاستيلاء على شَيزَر، ومواصلة قذفه لها بالمجانيق، فكر عزالدين أبوالعساكر سلطان بن منقذ فى وسيلة أخرى لدرء هذا الخطر، وهى مكاتبة عماد الدين زنكى ليستمد منه العون[٨].

لم يكن زنكى فى وضع يسمح له بأن يترك الإمبراطور البيزنطى حنا الثانى كومنين يستولى على مختلف قلاع وحصون شمال الشام، فإن نجاح حنا الثانى فى الاستيلاء على هذه

---

(١) كتاب الاعتبار، ص١١٤.

(٢) Niketas Choniates, *Annals*, p30.

(٣) كتاب الاعتبار، ص١١٤.

(٤) John Kinnamus, *The Deeds*, p. 24.

(٥) وليم الصورى: الأعمال المنجزة، ج٢، ص٦٩٦.

(٦) أسامة بن منقذ: كتاب الاعتبار، ص١١٤.

(٧) Nicetas Choniates, *Annals*, p.30.

(٨) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ: ج١١، ص٥٧، أبوشامة: الروضتين فى أخبار الدولتين، ج١، ق ١، ص٨١. انظر أيضا: فايد حمادى عاشور: جهاد المسلمين فى الحرب الصليبية، بيروت ١٩٨٥، ص١٩٣.

القلاع يعنى نهاية زنكى، وشل حركته، ووقف توسعاته، وهدم آماله نحو تحقيق وحدة الجبهة الإسلامية التى كان يسعى لتحقيقها.

لذلك مع بداية حملة حنا الثانى كومنين على شمال بلاد الشام فى شهر رجب عام ٥٣٢هـ/ مارس ١١٣٨م، أخذ زنكى فى تتبع تحركات الإمبراطور، وكانت جيوشه بقيادة القائد المشهور سيف الدين سوار تمد تلك المدن والحصون بما يلزمها من عدة وعتاد[١]. وقد أشار المؤرخ المعاصر ابن القلانسى إلى ذلك بقوله: "مع مبالغة عماد الدين أتابك فى إمدادها بالرجالة والسلاح وآلات الحرب"[٢]. وبطبيعة الحال ساعدت هذه الإمدادات على تقوية هذه الحصون وأدت إلى عدم سقوطها فى يد حنا الثانى كومنين.

ولا صحة لما أورده جين لامونت Jean la monte من أن عماد الدين زنكى لم يكن هدفه محاربة الفرنج أو الروم إلا بالقدر الذى يجنى من وراءه على مصالح سياسية واقتصادية، وأن هذا هو الذى دفعه إلى عدم الدخول فى حرب مكشوفة ضد قوات حنا الثانى، ولامونت بذلك يسلب زنكى دوره فى حركة الجهاد!![٣] فإن أيادى زنكى مشهورة ومعروفة فى حركة الجهاد ضد الفرنج والروم، وكل الدلائل تشير إلى الدور البطولى الذى قام به عماد الدين زنكى.

ومما يؤكد على اهتمام زنكى بحملة حنا الثانى كومنين ما أشار إليه ابن العديم من أن زنكى كان يتتبع خطوات الإمبراطور، ويتنقل خلفه، حيث "رحل من حمص إلى حماة، ومنها رحل إلى سلمية"[٤]، ويفصح ابن الأثير عن غرض زنكى من وراء هذه التحركات بقوله: " ليمنع الروم، ويقطع عنهم الميرة "[٥].

غير أن زنكى اتبع أسلوب الدبلوماسية، فلم يشأ أن يدخل فى صراع مكشوف مع الإمبراطور حنا الثانى كومنين وحلفائه من الفرنج، فقد أراد فقط أن يشعر قادة هذه الحملة أنه متواجد بجيوشه، ومستعد للدخول معهم فى معركة من أجل إنقاذ شَيزَر، فكما يقول ابن الأثير نزل على نهر العاصى قريبا من شَيزَر " وكان يركب كل يوم ويسير إلى شَيزَر هو وعساكره، ويقفون بحيث يراهم الروم، ويرسل السرايا فتأخذ من ظفرت به منهم "[٦].

---

(١) العظيمى: تاريخه، ص٤١٥، انظر أيضًا : Stevenson, *The Crusaders in the East*, p. 140

(٢) تاريخ دمشق، ص٤١٥.

(٣) جون لامونت: الحرب الصليبية والجهاد، مقال منشور ضمن كتاب دراسات إسلامية، ترجمة نقولا زيادة، بيروت ١٩٦٨م، ص١١٢– ١١٤، وانظر أيضا: محمد مؤنس عوض: الحروب الصليبية، القاهرة، ٢٠٠٠، ص١٦٦.

(٤) زبدة الحلب، ج٢، ص ٤٥٨.

(٥) الكامل فى التاريخ، ج١١، ص٥٧.

(٦) الكامل فى التاريخ، ج١١، ص٥٧. انظر أيضا: النويري: نهاية الأرب، ج٢٧، ص١٣٦.

ويعلل ابن الأثير ويوافقه ابن واصل فى ذلك من أن سبب موقف عماد الدين هذا إنما يعود إلى أنه "لم يكن له بهم طاقة ولا قوة، وإنما كان يوهمهم بهذا القول وأشباهه"[١]. وذلك لما سبق توضيحه من كثرة عدد أفراد جيش حنا الثانى ومن معه من الفرنج[٢]. وفى نفس الوقت فإن زنكى اتبع سياسة الترهيب والتخويف، فيشير ابن الأثير إلى أن زنكى أرسل إلى ملك الروم يقول له: "إنكم قد تحصنتم منى بهذه الجبال، فانزلوا منها إلى الصحراء حتى نلتقى، فإن ظفرت بكم أرحت المسلمين منكم"، وبطبيعة الحال كانت هذه الأقوال على سبيل ترهيب وتخويف الروم، حتى يرفعوا الحصار عن شَيزَر[٣].

أتت سياسة التخويف التى اتبعها زنكى مع الروم بنتائج طيبة، فعندما طلب قادة الفرنج من الإمبراطور حنا الثانى كومنين أن يقوموا بمهاجمة جيش زنكى، وأوضحوا له أن أعداد جيشه قليلة[٤]. رفض ذلك رفضا تاما، وقال لهم: "أتظنون أنه ليس له من العسكر إلا ما ترون، إنما هو يريد أن تلقوه فيجيئه من نجدات المسلمين ما لا حد له "[٥]. ويدل موقف الإمبراطور حنا الثانى الرافض الدخول فى حرب مع عماد الدين زنكى، إلى ما عرفه الروم عن مكائد وأسرار حروب الأتراك السلاجقة، وما كانوا يقومون به من نصب الأكمنة فى الحروب.

لم تقف جهود زنكى عند هذا الحد، وإنما بذل جهدا كبيرا لمحاولة الإيقاع بين الروم وحلفائهم من الفرنج، خاصة بعد علمه بتلك الجفوة التى حدثت بينهم[٦]، فلم يعد عند كل من ريمون دى بواتييه حاكم أنطاكية، وجوسلين الثانى أمير الرها أدنى حماس للمشاركة فى الهجوم على شَيزَر. ويشير وليم الصورى إلى أنهما تركا الحصار والمشاركة فى الأعمال الحربية وجلسا فى خيمتهما يلعبان النرد، مما أثر على أتباعهما من الجنود، فلم يعد لديهم هم الأخرون أدنى اهتمام بتلك المعارك الجارية أمام شَيزَر[٧].

إن الموقف السلبى الذى اتخذه كل من ريمون دى بواتييه وجوسلين الثانى ليدعو إلى

---

(١) الكامل فى التاريخ، ج١١، ص٥٦، مفرج الكروب، ج١، ص٨١.

(٢) أبوشامة: الروضتين فى أخبار الدولتين، ج١، ق ١، ص٨١. أبوالفدا: المختصر فى أخبار البشر، نشر المطبعة الحسينية، القاهرة، د ت، ج٣، ص١٣.

(٣) الكامل فى التاريخ، ج١١، ص٥٧.

(٤) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ج١١، ص٥٧، ابن واصل: مفرج الكروب، ج١، ص٨١.

(٥) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ج١١، ص٥٧، ابن واصل: مفرج الكروب، ج١، ص٨١.

(٦) المؤرخ السريانى المجهول: ج٢، ص٥٠١.

(٧) الأعمال المنجزة، ج٢، ص٦٩٦؛ انظر أيضا: رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، ص٣٤٦؛ Cahen, C., *La Syrie de nord à l'epoque des croisades et la principaut franque d'Antioche*, Paris, 1940, P. 361.

البحث عن الأسباب التى أدت إليه، إن المتتبع لتاريخ العلاقات بين الإمبراطور البيزنطى حنا الثانى كومنين والأمير ريمون دى بواتييه، يجد أن العداوة والكراهية بين الرجلين كانت هى السمة المميزة لتلك العلاقة، وذلك منذ أن حضر ريمون إلى الشرق وتزوج من الأميرة كونستانس ابنة بوهيموند الثانى ووريثه إمارة أنطاكية بدون علم الإمبراطور حنا الثانى[١].

وإذا كانت قد ثارت عداوة بين الرجلين إلا أنها انتهت بعقد صلح بينهما عام ٥٣١هـ/ ١١٣٧م، اعترف فيه ريمون دى بواتييه بتبعيته للإمبراطور حنا الثانى، وأن يكون فصلا إقطاعيا له أى تابعا له، كما وافق ريمون على أن يترك أنطاكية للإمبراطور حنا الثانى كومنين فى حالة الاستيلاء على مدن مثل حلب أو شَيزَر أو حماة أو حمص[٢]. ومعنى ذلك أنه فى حالة استيلاء الإمبراطور حنا الثانى على شَيزَر، فإنه سوف يمنحها إلى ريمون دي بواتييه ويأخذ منه أنطاكية، تلك المدينة صاحبة الماضى العريق، وهو ما لم يكن يرضى عنه ريمون دى بواتييه، ولذلك فَتَّر حماس الأخير فى الاجتهاد فى حصار شَيزَر، ولم يعد مشاركا فيه حيث آوى إلى خيمته يلعب النرد.

أما جوسلين الثانى فإنه أنِفَ من نجاح الإمبراطور حنا الثانى فى الاستيلاء على شَيزَر، لأنه لو نجح فى ذلك لمنحها لريمون دى بواتييه، ويكون ريمون بذلك مجاورا له، ومجاورا لحلب التى يمكنه فى هذه الحالة من التوسع على حسابها، وهو نفس ميدان وتطلع جوسلين، فمنذ أن استولى الفرنج على الرها وهم يقومون بالإغارة على حلب وقراها ينهبون ويسلبون، أما إذا أصبح ريمون مجاورا لهم فسوف يشاركهم فى ذلك ولربما سقطت حلب فى يده، فيحرم جوسلين مما كان يسلبه من خيرات من حلب[٣].

وهكذا اتفق الرجلان– ريمون دى بواتييه وجوسلين الثانى– على عدم المشاركة الفعلية فى حصار شَيزَر، وقد شعر الإمبراطور حنا الثانى بعدم مشاركتهما، فأخذ يحثهما على المشاركة الإيجابية فى ذلك الحصار، لكن دون جدوى[٤]. وما أن علم زنكى بهذا الشقاق الذى أخذ طريقه بين

---

(١) وليم الصورى: الأعمال المنجزة، ج٢، ص٦٨٥.

(٢) ابن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق، ص٤٠٦؛ John Kinnamus: *Deeds*, p.24؛ وليم الصورى: الأعمال المنجزة، ج٢، ص٦٩٣. انظر أيضا: محمود سعيد عمران: السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية، ص٩١.

(٣) وليم الصورى: الأعمال المنجزة، ج٢، ص٩٩٦؛ انظر أيضا: رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، ص٣٤٦، سعيد عاشور: الحركة الصليبية، القاهرة ١٩٨٢م، ج٢، ص٥٨٨.

(٤) وليم الصورى: الأعمال المنجزة، ج٢، ص٦٩٦. يشير المؤرخ السريانى المجهول إلى عدم إخلاص الفرنجة للإمبراطور حنا الثانى بقوله: " ولكن الفرنجة الماكرين الغشاشين لم يكونوا راغبين بانتصار ساحق للإمبراطور". انظر: المؤرخ السرياني المجهول، نشره سهيل زكار ضمن كتاب الحروب الصليبية، دمشق ١٩٨٤م، ج٢، ص٥٠١. Lilie, *Byzantium and the Crusader States*, p.126.

الإمبراطور البيزنطى وحلفائه من الفرنج، إلا وأخذ فى تغذيته حتى تتسع الهوة بين الجانبين، وفى هذا يتحقق هدفه فى عدم استكمال أو استمرار الحصار على شَيزَر، يذكر ابن الأثير أن زنكى كان يرسل إلى ملك الروم يوهمه بأن فرنج الشام خائفون منه، فلو فارق مكانه لتخلفوا عنه، ويرسل إلى فرنج الشام يخوفهم من ملك الروم ويقول لهم: "إن ملك بالشام حصنا واحدا ملك بلادكم جميعا"، ويؤكد ابن الأثير أن هذه السياسة أتت أُكُلها حيث "استشعر كل من صاحبه"، وأخذت الهوة تزداد فيما بينهما[١]. وفى نفس الوقت فإن زنكى أثار مختلف القوى الإسلامية ضد حملة حنا الثانى على شَيزَر، حيث أرسل مبعوثا إلى السلطان السلجوقى مسعود فى بغداد، هو القاضى كمال الدين الشهرزورى، لطلب النجدة، وليحثوا السلطان على إرسال جيش للتصدى لحملة الروم على شمال الشام[٢].

غير أن السلطان مسعود السلجوقى لم يحرك ساكنا، ولم يلتفت إلى طلبات كمال الدين الشهرزورى، مما دفع زنكى لأن يطلب من مبعوثه أن يثير فتنة داخل مسجد السلطان ببغداد فى وقت صلاة الجمعة، حتى يثير حماس السلطان، ويجعله يشعر بالخطر المحيط بمدن شمال الشام، وبالفعل تم تنفيذ هذه الخطة، وحدثت فتنة كبيرة بالمسجد، مما دفع السلطان إلى أن يأمر بتجهيز جيش لإرساله إل بلاد الشام للوقوف أمام خطر الروم[٣].

كذلك فإن زنكى أراد أن يضغط على الحلفاء الفرنج حتى يدفعهما إلى مغادرة شمال

---

(١) الكامل فى التاريخ، ج١١، ص٥٨، انظر أيضا: النويرى: نهاية الأرب، ج٢٧، ص١٣٦.

(٢) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ج١١، ص٥٨. يذكر البعض أن زنكى أرسل يستنجد بالخليفة العباسى، ولكن لم يرد فى المصادر ذلك، وإنما الذى ورد إرساله إلى السلطان السلجوقى. انظر محمود سعيد عمران: السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية، ص٩٥ ومن ناحية أخرى لم يكن للخليفة العباسى وقتئذ وهو المقتفى بالله (٥٣٠- ٥٥٥هـ/ ١١٣٦- ١١٦٠م) أمر ولا نهي، وكانت الأمور كلها في يد السلطان السلجوقي مسعود. انظر ابن تغرى بردى: مورد اللطافة فى من ولي السلطنة والخلافة، تحقيق: نبيل محمد عبدالعزيز، القاهرة ١٩٩٧م، ج١، ص٢١٩- ٢٢١. السلطان مسعود السلجوقى هو: أبوالفتح مسعود بن محمد بن ملكشاه بن الب أرسلان السلجوقى، الملقب غياث الدين، تولى السلطنة السلجوقية عام ٥٢٨هـ/ ١١٣٤م، واستمر فى السلطنة حتى وفاته عام ٥٤٧هـ/ ١١٥٢م. انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٥، ص٢٠٠- ٢٠٢. كمال الدين الشهرزورى: هو كمال الدين أبوالفضل محمد بن عبدالله بن القاسم بن المظفر بن على الشهرزورى، ولد عام ٤٩٢هـ/ ١٠٩٩م، تفقه فى بغداد، ووصل إلى درجة متقدمة فى العلم أهله لتولى القضاء بشهرزور، ثم انخرط فى سلك السياسة، واتصل بعماد الدين زنكى، وابتعثه رسولا له إلى بغداد أكثر من مرة، كما اتصل بعد ذلك بابنه نور الدين محمود، ثم صلاح الدين الأيوبى، توفى عام ٥٧٢هـ/ ١١٧٦ م. انظر الصفدى: الوافى بالوفيات، ج٣، ص٢٦٦- ٢٦٧.

(٣) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ص٥٨- ٥٩، ابن واصل: مفرج الكروب، ج١، ص٧٩- ٨٠. شرح ابن الأثير وابن واصل تفاصيل الخطة التى رسمها ونفذها القاضى كما الدين الشهرزورى من أجل إثارة الفتنة فى بغداد. انظر: الكامل فى التاريخ، ج١١، ص٥٨- ٥٩، وانظر أيضًا : ابن واصل: مفرج الكروب، ج١، ص٧٩- ٨٠.

الشام والعودة إلى ممتلكاتهما، فقام بمهاجمة إمارة الرها الصليبية، وحاصرها، ويشير نيكتاس خونياتس أنه لم يلبث أن جاءت إلى الإمبراطور وهو يعسكر خارج شَيزَر تقارير تفيد حصار الترك للرُها، وهى فى خطر شديد، , وتعانى الأمرين من جراء هذا الحصار"[١].

هذا فى الوقت الذى نمى إلى علم الإمبراطور حنا الثانى كومنين خروج قرا أرسلان بن دواود بن سُكمان بن أرتق، بأمر من والده داود حاكم حصن كيفا، على رأس جيش كثيف، عابرا الفرات متجها صوب شمال الشام من أجل محاربة الروم والفرنج[٢]. ويشير ابن العديم إلى أن عدد هذا الجيش كان يزيد على خمسين ألف من التركمان وغيرهم[٣]. كذلك أخذت جموع من الجنود فى التجمع من دمشق، للخروج هى الأخرى للانضمام إلى جانب عماد الدين زنكى لمحاربة الروم المحاصرين لشَيزَر[٤].

وهكذا أخذت معظم القوى الإسلامية فى التجمع لمحاربة الإمبراطور حنا الثانى كومنين ومن معه من الفرنج، أدى هذا إلى أن يفكر حنا الثانى فى الأمر، خاصة بعد الموقف السلبى الذى وقفه أمراء الفرنج منه،[٥]، ثم تلك الأخبار التى جاءته تفيد مهاجمة السلاجقة لمدينة آذنة واحتلالها[٦]، فخشى حنا الثانى من فقدان ممتلكاته فى آسيا الصغرى، كل ذلك جعله يعيد حساباته من جديد. تزامن كل ذلك مع العرض الذى قدمه الأمير عز الدين سلطان حاكم شَيزَر للإمبراطور حنا الثانى يطلب فيه رفع الحصار عن شَيزَر والرحيل عنها فى مقابل دفع مبلغا من المال، وتقديم مجموعة من الهدايا والتحف.[٧] ويذكر حنا كناموس أن هذا العرض قوبل فى

---

(١) Nicetas Choniates, *Annals*, p. 30.

(٢) العظيمى: تاريخه، ص٤١٥، ابن القلانسى: تاريخ دمشق، ص٤١٧. قرا أرسلان بن داود، هو فخر الدين أبو الحارث قرا أرسلان بن داود بن معين الدين سُكمان (سُقمان) بن أرتق، تولى حكم حصن كيفا بعد وفاة والده داود عام ٥٣٩هـ/١١٤٤م، واستمر به حتى وفاته عام ٥٦٢هـ/ ١١٦٦م. انظر : زامبادر: معجم الأنساب، ج٢، ص٣٤٤.

(٣) زبدة الحلب، ج٢، ص ٤٥٩. بينما يذكر العظيمى أن عدد هذا الجيش كان عشرون ألف فارس، وأنه لم يحضر بدعوة من زنكى، وإنما على العكس من ذلك، فإن زنكى أرسل إليه يطلب منه العودة إلى أبيه فى حصن كيفا، خاصة بعد أن رفع حنا الثانى الحصار عن شَيزَر. انظر: تاريخه، ص٤١٥.

(٤) ابن القلانسى: تاريخ دمشق، ص٤١٧.

(٥) علية الجنزورى: إمارة الرها الصليبية، القاهرة ١٩٧٥، ص٢٥٦؛ Nicholson, R.H., "The Growth of the Latin states 1118– 1144", in: K. Setton (ed.), *History of the crusades*, Pennsylvania, 1955, Vol. 1, p. 440.

(٦) ميخائيل السريانى الكبير: تاريخه، ج٣، ص٢١٧– ٢١٨.

(٧) Niketas Coniates, *Annals*, p. 30; John Kinnamus, *Deeds*, p.24. ؛ وليم الصورى: الأعمال المنجزة، ج٢، ص٦٩٧.

البداية بالرفض من قبل الإمبراطور حنا الثانى كومنين، لأنه كان يريد أن يستولى على شَيزَر بحد السيف،[١] لكنه إزاء فشله فى تحقيق ذلك، وما أحاط به من هزائم على يد أهالى وحامية شَيزَر، ثم ما استجد من مواقف القوى الإسلامية، والموقف السلبى الذى وقفه الأمراء الفرنج من المشاركة فى حصار شَيزَر، وما تعرضت له بعض ممتلكاته فى آسيا الصغرى من هجمات على يد السلاجقة، كل ذلك جعل الإمبراطور حنا الثانى كومنين يقبل العرض الذى قدمه حاكم شَيزَر من رفع الحصار والرحيل من حيث أتى.

هذا ويؤكد المؤرخ ابن القلانسى على أن الذى دفع الإمبراطور حنا الثانى إلى الموافقة على رفع الحصار عن شَيزَر، هو تخوفه من التركمان الذين عبروا الفرات صحبة الأمير قرا أرسلان بن داود الأرتقى[٢]. بينما يؤكد وليم الصورى على أن موقف قادة الفرنج المتخاذل هو الذى دفع حنا الثانى إلى اتخاذ قرار رفع الحصار عن شَيزَر[٣]. وبذلك يخرج حنا الثانى من هذه الأزمة وهو مرفوع الرأس[٤].

على كل حال مهما اختلفت الآراء، فإن كل هذه العوامل مجتمعة هى التى أدت بالإمبراطور حنا الثانى بأن يقبل العرض المقدم من عز الدين سلطان بن منقذ، وأن يعلن رفع الحصار عن شَيزَر بعد أن استمر محاصرا لها ثلاثة وعشرون يوما[٥].

ومن الجدير بالذكر أن المصادر الإسلامية المعاصرة لم تشر من قريب أو بعيد إلى تلك الأموال التى بذلها الأمير عز الدين سلطان بن منقذ من أجل رفع الحصار عن شَيزَر، أما الذى أشار إلى تلك الأموال فهما المؤرخان البيزنطيان حنا كناموس ونيكتاس خونياتس، بالإضافة إلى الإشارة التى أوردها المؤرخ اللاتينى وليم الصورى.[٦] والمؤرخ السريانى المجهول[٧].

ومن الملاحظ أن أحدا من الباحثين لم يتطرق إلى الأسباب التى من أجلها صمتت المصادر الإسلامية ولم تشر إلى تلك الأموال أو الهدايا التى بذلها الأمير عز الدين سلطان بن منقذ للإمبراطور البيزنطى حنا الثانى، خاصة وأنه يوجد اثنان من المؤرخين عاصرا هذه

---

(١) John Kinnamus, *Deeds*, p. 24.

(٢) تاريخ دمشق، ص٤١٧؛ انظر أيضا: Stevenson, *The crusaders in the East*, p. 14.

(٣) الأعمال المنجزة، ج٢، ص٦٩٧.

(٤) Grousset, R., *Histoire des croisades*, Paris 1935, p. 110 ؛ السيد الباز العرينى: الشرق الأوسط والحروب الصليبية، القاهرة، ١٩٦٣، ص٥١٦.

(٥) ابن القلانسى: تاريخ دمشق، ص٤١٧، العظيمى: تاريخه، ص٤١٦. كان نزول الروم على شيزر يوم ١٤ شعبان عام ٥٣٢هـ/ ٢٩ إبريل ١١٣٨م، وتم رفع الحصار عنها يوم ٨ رمضان من السنة المذكورة/ ٢١ مايو ١١٣٨م.

(٦) John Kinnamus, *Deeds*, p. 24. Niketas Choniates, *Annals*, p. 30.

(٧) المؤرخ السريانى المجهول، ج٢، ص٥٠٢.

الأحداث الأول هو ابن القلانسى، وهو مؤرخ دمشقى عاصر هذه الأحداث وسمع عنها فقد توفى عام ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م، والثانى هو العظيمى، وهو مؤرخ حلبى عاصر أيضا هذه الأحداث فقد توفى عام ٥٥٦هـ/ ١١٦١م، وكلاهما تناول أحداث هذه الحملة، لكن دون أن يذكر شيئا عن تلك الأموال. كذلك من أتى بعدهما ونقل عنهما أو عن غيرهما لم يذكروا أية إشارة إلى تلك الأموال، مثل بن الأثير (توفى ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م) أو سبط بن الجوزى (توفى ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م)، أو أبوشامة (توفى ٦٦٥هـ/ ١٢٦٧م) أو ابن واصل (توفى ٦٩٧هـ/ ١٢٩٨م) أو غيرهم.

وربما يعود السبب فى ذلك إلى أن تلك المصادر اعتبرت بذل هذه الأموال بمثابة إهانة للحكام المسلمين، لأنها ما هى إلا إتاوة دفعها الأمير عز الدين سلطان للإمبراطور البيزنطى، إتقاء لشره، وحتى يجعله يعود إلى بلاده ويرفع الحصار عن شَيزَر، لذلك لم تشر هذه المصادر إلى تلك الأموال.

أما هذه الأموال التى دفعها الأمير عز الدين سلطان بن منقذ إلى الإمبراطور حنا الثانى، فلم تذكر المصادر البيزنطية قدرها، فى حين قال عنها وليم الصورى أنها "مبلغا كبيرا من المال"،[١] بينما فَصَّل نيكتاس خونياتس أنواع الهدايا والتحف التى حملها سلطان بن منقذ للإمبراطور، وهى عبارة عن جياد عربية أصيلة النسب، يكلل أعناقها أقواس ذات أشكال مصنوعة من أغلى المواد، وثياب منسوجة من الذهب، ومائدة ولوحات من الرخام ذات مناظر تَسُر الناظرين، بالإضافة إلى تلك الهدايا والتحف التى استولى عليها بنو منقذ واحتفظوا بها منذ أن تم أسر الإمبراطور رومانوس الرابع ديوجنيس (١٠٦٧- ١٠٧١م) عقب هزيمته فى موقعة مانزكرت عام ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م،[٢] وأضاف حنا كناموس أنه كان من بين هذه الهدايا صليب كبير مصنوع من الحجر الأحمر، كان من بين المقتنيات التى اقتناها عز الدين سلطان بعد هزيمة

---

(١) الأعمال المنجزة، ج٢، ص٦٩٧.

(٢) Niketas Choniates, *Annals*, p. 30. ؛ انظر أيضا: المؤرخ السريانى المجهول، ج٢، ص٥٠٢. وعن معركة مانزكرت انظر: *Nicephor Bryennios, "Les quatre livres des histories", Byzantion* 25–27 (1955), 56, 57, 488, Michael Psellus, *Chronographia*, trans. Sewter , New Haven, 1953, pp. 270– 272. See also, Vryonis , Sp. Jr., *The Decline of Medieval Hellenism in Asia Minor and the Process of Islamization from the 11th through the 15th Century* , Berkeley / Los Angeles/ London , 1971 ; Cheynet , J.C., "Mantzikert un désastre militaire?" , *Byzantion* 50(1980),pp.410-438 ; Friendly , A., *The Dreadful Day. The Battle of Mantzikert* 1071 , London , 1981. ؛ اسمت غنيم ، معركة منزيكرت في ضوء وثائق بسللوس ، مجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية ، مجـ٢٨، ١٩٧٩-١٩٨٠م ؛ فايز نجيب اسكندر ، موقعة ملازكرد وصداها فى القسطنطينية ، الإسكندرية، ١٩٨٧م.

الإمبراطور رومانوس الرابع ديوجنيس[١].

ومن ناحية أخرى فإن إصرار المؤرخين البيزنطيين على ذكر استرداد الإمبراطور حنا الثانى كومنين لتلك التحف التى استولى عليها المسلمون غنيمة بعد هزيمة الإمبراطور رومانوس الرابع، إنما قُصد به رد اعتبار الدولة البيزنطية، وحفظ ماء وجه الأباطرة البيزنطيون، بعد تلك الإهانة التى نزلت بهم عقب معركة مانزكرت.

على كل حال، بعد أن تسلم الإمبراطور حنا الثانى كومنين الأموال والهدايا المتفق عليها من الأمير عز الدين سلطان بن منقذ، أعلن رفع الحصار عن شَيزَر فى يوم الأحد ٨ رمضان عام ٥٣٢هـ/ ٢١ مايو ١١٣٨م، واتجه صوب أنطاكية.[٢] وتذكر المصادر الإسلامية أن الإمبراطور حنا الثانى أسرع فى رفع الحصار لدرجة أنه لم يتسنى له أخذ كل المجانيق وآلات الحصار التى نشرها حول شَيزَر،[٣] فيقول ابن الأثير: "أنه ترك المجانيق على حالها".[٤] بينما يقول ميخائيل السريانى أنه "اكتفى بحرق بعضها".[٥] فما كان من عماد الدين زنكى إلا أن توجه إلى شَيزَر واستولى على تلك المعدات التى تركها حنا الثانى كومنين، وحملها إلى حلب.[٦]

ويشير المؤرخ نيكتاس خونياتس إلى أنه بمجرد أن قرر الإمبراطور حنا الثانى رفع الحصار عن شَيزَر، وأخذت فرقة العسكرية فى التحرك، إلا فوجئت مؤخرة جيشه بهجوم شامل قامت به قوات عماد الدين زنكى، وعلى رأسها مجموعة من القادة البارزين، الذين امتطوا جياد تفوق سرعتها سرعة الريح.[٧] وقد أكد على ذلك المؤرخ ابن العديم عندما ذكر أنه بعد انسحاب الروم من أمام شَيزَر، وأثناء توجههم ناحية أنطاكية "سير أتابك- أى عماد الدين زنكى- خلفهم سرية من العسكر تتخطفهم".[٨]

وهكذا انتهت حملة الإمبراطور حنا الثانى كومنين على شَيزَر دون أن تحقق أهدافها فى الاستيلاء على هذه المدينة ذات الموقع الجغرافى المميز، وذات القلعة الحصينة، التى تَحدَّت الأعداء من روم وفرنج. وكما يقول المؤرخ المعاصر ابن القلانسى: "تواصلت الأخبار بإتمام

---

(١) John Kinnamus, *Deeds*, p. 25.

(٢) ابن القلانسى: تاريخ دمشق، ص٤١٨، وليم الصورى: الأعمال المنجزة، ج٢، ص٦٩٧؛ انظر أيضا: Stevenson, *The crusades in the East*, p. 141.

(٣) النويرى: نهاية الأرب، ج٢٧، ص١٣٦.

(٤) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ج١١، ص٥٨.

(٥) تاريخه، ص٢١٨.

(٦) ابن العديم: زبدة الحلب، ج٢، ص٤٥٩، أبوالفدا: المختصر فى أخبار البشر، ج٣، ص١٣.

(٧) Nicetas Choniates, *Annals*, p. 30.

(٨) زبدة الحلب، ج٢، ص٤٥٩.

الروم فى رحيلهم إلى بلادهم، وسكنت القلوب بعد انزعاجها وقلقها منهم ووجلها". [1]

(1) ذيل تاريخ دمشق، ص٤١٨.

أما عن نتائج هذه الحملة فهي كالتالي:

أولاً: ذلك الفشل الذريع الذى حاق بالإمبراطور حنا الثانى كومنين، فلم يستطع تحقيق هدفه فى وضع يده على مجموعة الحصون التى تتوسط شمال الشام- حلب، حماه، حمص، شَيزَر- وكن هدفه من ذلك هو نقل حاكم أنطاكية إلى تلك الحصون، ثم وضع يده على أنطاكية، وذلك ليحقق حُلم والده الكسيوس كومنين القديم فى الاستيلاء على أنطاكية.

ثانيًا: فشل حنا الثانى كومنين فى وضع حد لتوسعات الأمير عماد الدين زنكى، ومنعه من التطلع ناحية الجنوب، حتى لا يكمل توحيد الجبهة الإسلامية، خاصة إذا استولى حنا على حصن شَيزَر.

ثالثًا: أتت هذه الحملة بنتيجة عكسية، فإذا كان حنا الثانى قد هدف إلى الحد من توسعات زنكى، فإن ما قام به زنكى من دور فى التصدى لهذه الحملة، وفى إثارته الرأى العام الإسلامى ضد حنا الثانى، ثم ما تبع ذلك من رفع حنا الثانى الحصار عن شَيزَر ثم رحيله، أدى إلى رفعة شأن زنكى، فمدحه الشعراء بعدة قصائد.[1] كما وصلت إليه الخلع والهدايا من قبل كُلٍّ من الخليفة العباسى والسلطان السلجوقى.[2]

رابعًا: غنم عماد الدين زنكى من وراء هذه الحملة، مجموعة كبيرة من آلات الحصار والسلاح، التى تركها الإمبراطور حنا الثانى أمام شَيزَر، فأخذها عماد الدين زنكى وحملها إلى حلب، كما أسر وقتل عماد الدين زنكى بعض من جنود هذه الحملة الذين تخلفوا عن المسير صحبة الإمبراطور حنا الثانى.

خامسًا: أكدت هذه الحملة، وما أحاط بها من أحداث، على وحدة العالم الإسلامى تجاه العدوان الخارجى المتمثل فى ذلك التحالف البيزنطى الفرنجى، حيث وقفت معظم القوى الإسلامية إلى جانب حاكم شَيزَر.

سادسًا: أوضحت هذه الحملة، ذلك الشك المتبادل بين الفرنج من جانب وبين الإمبراطور البيزنطي من جانب آخر، وهو أمر تفشى بينهم منذ أن وطأت أقدام الصليبيين أراضي الشرق، وكان لهذا الشك أثر كبير فيما حدث من فشل هذه الحملة.

---

(1) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ج١١، ص٥٩، أبوشامة: الروضتين، ج١، ق١، ص٨٢-٨٣.

(2) ابن واصل: مفرج الكروب، ج١، ص٨٣.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً . المصادر الأجنبية:

1- **Anna Comnena**, *The Alexiad*, trans. E. Dawes, London 1928.
2- **Michael Psellus**, *Chrongrephia*, trans. Sewter, New Haven 1953.
3- **Nicephore Bryennios**, *Les Quatre Livres des histories*, trans. H. Gergoire, *Byzantion* 25-27(1995).
4- **Niketas Choniates**, *O City of Byzantium, Annales of Niketas Choniates*, trans. H. Magoulias, Detroit 1984.
5- **John Kinnamus**, *Deeds of John and Manuel Comnenus*, trans. Ch. M. Brand, New York 1976.

ثانيا. المصادر المعربة:

ميخائيل السرياني: تاريخ مار ميخائيل السرياني الكبير، ترجمة مار غريغوريوس صلبا شمعون، تقديم مار مار غريقوريوس يوحنا إبراهيم، دار ماردين حلب ١٩٩٦م، ج٣.

المؤرخ السرياني الرهاوى، المجهول، ضمن كتاب الحروب الصليبية لسهيل زكار، دمشق ١٩٨٤م

وليم الصوري: الأعمال المنجزة فيما وراء البحار، نقله إلى العربية د. سهيل زكار، دمشق ١٩٨٧م.

ثانيًا : المصادر العربية :

ابن الأثير (عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني) ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م: الكامل في التاريخ، نشر دار صادر، بيروت ١٩٦٦م.

الأنطاكي (يحي بن سعيد) :التاريخ المجمع على التحقيق والتصديق، نشر مدرسة الآباء اليسوعيين، بيروت ١٩٠٩م.

ابن تغري بردي (جمال الدين أبي المحاسن يوسف) ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، نشر دار الكتب المصرية، القاهرة د.ت.

الحميري (محمد بن عبدالمنعم) ت ٧٢٣هـ/١٣٢٣م : الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، بيروت ١٩٨٤م.

ابن خلكان (أبي العباس مس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر) ت ٦٨١هـ/١٢٨٥م : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، بيروت ١٩٧٧م.

الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان) ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م : العبر في خبر من غبر، تحقيق: أبو هاجر محمد، بيروت د.ت.

أبو شامة (شهاب الدين عبدالرحمن بن إسماعيل المقدسي) ت ٦٦٠هـ/١٦٦٢م: كتاب الروضتين في أخبار الدولتين، تحقيق: محمد حلمي محمد أحمد، القاهرة ١٩٩٨م.

ابن شداد (عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم) ت ٦٨٤هـ/١٢٨٥م : الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق: يحيى زكريا عَبَّارة، دمشق ١٩٩١م.

الصفدي (صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي) ت ٧٦٤هـ/١٣٦٣م : كتاب الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وآخرون، بيروت ٢٠٠٠م.

ابن العديم (كمال الدين محمد بن أحمد بن أبي جراده) ت ٦٦٠هـ/١٢٦٢م: زبدة الحلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، دمشق ١٩٩٧م.

العظيمي (محمد بن علي بن محمد بن أحمد) ت ٥٥٦هـ/١١٦١م : تاريخ العظيمي، نشر كلود كاهن :.Claud Cahen, *Journal Isiatique*, tom ccxxx, Paris 1938

أبو الفدا (عماد الدين إسماعيل) ت ٧٣٢هـ/١٣٣٢م : تقويم البلدان، نشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ٢٠٠٧م.

- المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية، القاهرة د.ت.

ابن فضلان (أحمد بن فضلان بن العباس) ت ٣٠٩هـ/١٩٢١م: رسالة ابن فضلان، تحقيق: سامي الدهان، دمشق ١٩٨٨م.

القزويني (زكريا بن محمد بن محمود) ت ٦٨٢هـ/١٢٨٣م : آثار البلاد وأخبار العباد، نشر دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ١٩٧٩م.

ابن القلانسي (حمزة بن أسد بن علي بن أحمد التميمي) ت ٥٥٥هـ/١١٦٠م: تاريخ دمشق، تحقيق: سهيل زكار، دمشق ١٩٨٣م.

ابن منقذ (مؤيد الدولة أبو المظفر أسامة بن مرشد الكناني) ت ٥٨٤هـ/١١٨٨م: كتاب الإعتبار، تحرير فيليب حتى، New Jersey 1930

النويري (شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب) ت ٧٣٢هـ/١٣٣٢م : نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٢٧، تحقيق: سعيد عاشور، القاهرة ١٩٩٢م.

ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم) ت ٦٩٧هـ/١٢٩٨م : مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج١، تحقيق: جمال الدين الشيال، القاهرة ١٩٥٧م.

الواقدي (محمد بن عمر بن واقد السهمي) ت ٢٠٧هـ/٨٢٣م : فتوح الشام، تحقيق: هاني الحاج، القاهرة د.ت.

اليافعي (أبي محمد بن عبدالله بن أسعد بن علي) ت ٧٦٨هـ/١٣٦٧م : مرآة الجنان وعبرة اليقظان، وضع حواشيه خليل المنصور، بيروت ١٩٩٧م.

ياقوت الحموي (شهاب الدين أبي عبدالله) ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م : معجم البلدان، نشر دار صادر،

بيروت ١٩٦٨م.

ثالثًا : المراجع العربية والمعربة:

اسمت غنيم : معركة منزيكرت في ضوء وثائق بسللوس ، مجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية ، مجـــ٢٨، ١٩٧٩-١٩٨٠م

جون لامونت : الحروب الصليبية والجهاد، مقال منشور ضمن كتاب دراسات إسلامية، ترجمـــة نقولا زيادة، بيروت ١٩٦٨م.

حجازي عبد المنعم : إمارة شيزر في عصر بني منقذ ٤٧٤-٥٥٢هـــ/١٠٨١-١١٥٧م، القاهرة، ٢٠١٤م

حسنين محمد ربيع : دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، القاهرة ١٩٨٣م.

دونالد نيكول : معجم التراجم البيزنطية، ترجمة د. حسن حبشي، القاهرة ٢٠٠٣م.

زامباور : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ترجمة زكي حسن وآخرون، القاهرة ١٩٥٢م. **ستيفن رنسيمان** : تاريخ الحروب الصليبية، نقله إلى العربية د. السيد الباز العريني، بيروت ١٩٦٧م.

سعيد عبدالفتاح عاشور : الحركة الصليبية، القاهرة ١٩٨٢م.

- أوربا العصور الوسطى، ج١، القاهرة ١٩٦٣م.

سهيل زكار : مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية، دمشق ١٩٧٥م.

سيد أحمد الناصري : الروم، القاهرة ١٩٩٣م.

السيد الباز العريني : تاريخ الدولة البيزنطية، بيروت ١٩٨٢م.

عبدالله أحمد اليوسف : العصور الوسطى الأوربية، بيروت ١٩٦٨م.

عليه عبدالسميع الجنزوري : إمارة الرها الصليبية، القاهرة ١٩٧٥م.

عماد الدين خليل : عماد الدين زنكي، بيروت ١٩٨٢م.

فايد حماد عاشور : جهاد المسلمين في الحروب الصليبية، بيروت ١٩٨٥م.

فايز نجيب اسكندر: موقعة ملازكرد وصداها فى القسطنطينية ، الإسكندرية، ١٩٨٧م

فلاح صالح العازي : المنظمات الشعبية وقيام الأحداث في بلاد الشام خلال العصـــر الفـــاطمي، رسالة ماجستير آداب الكويت، ٢٠٠٨م.

كمال أمين حسب الله : إمارة أنطاكية الصليبية، رسالة ماجستير آداب القاهرة، ١٩٩٠م.

لسترنج (كي) : بلدان الخلافة الإسلامية، بيروت ١٩٨٥م.

محمد مؤنس عوض : الحروب الصليبية، القاهرة ٢٠٠٠م.

محمود سعيد عمران : السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور مانويل

الأول كومنين، القاهرة ١٩٨٥م.

رابعًا : المراجع الأجنبية :

1- **Baldwin**, M. W., *Christianity through the thirteenth Century*, London 1971.
2- **Baynes**, N. H., *The Byzantine Empire*, London 1958.
3- **Birkenmeier, J.W.,** *The Development of the Komnenian Army 1081-1180*, Leiden, Boston, 2002.
4- **Cahen**, C., *La Syrie de norde a Lepoque des croisades et la Principate Franque de 'Antioche*, Paris 1940.
5- **Cheynet** , J.C., "Mantzikert un désastre militaire?" , *Byzantion* 50 (1980), pp.410-438.
6- **Deschamps**, P., *La Défense du comté de Tripoli et de la principauté d'Antioche*, Paris, 1973.
7- **Diehl**, Ch., *History of the Byzantine Empire*, Princeton 1925.
8- **Friendly** , A., *The Dreadful Day. The Battle of Mantzikert* 1071 , London , 1981.
9- **Grousset**, R., *Histoire des Croisades*, Paris 1935.
10- **Kazhdan**, A., *The oxford Dictionary of Byzantine*, Oxford 1997.
11- **Lilie**, R-J., "The Treaty of 1137 between Byzantium and the Princedom of Antioch according to Ordericus Vitalis and William of Tyre", in: Idem, *Byzantium and the Crusader States 1096-1204*, trans. J.C. Morris & J.E. Ridings, Oxford, 1993, pp.298-308.
12- **Lilie,** R-J., *Byzantium and the Crusader States 1096-1204*, trans. J.C. Morris & J.E. Ridings, Oxford, 1993.
13- **Madgearu, A.,** "The Pechenegs in the Byzantine Army", in: *The Steppe Lands and the World Beyond them. Studies in honor of Victor Spinie on his 70th birthday*, eds. F. Curta & B. Maleon, Editura Universitatii, Alexandru Ioan Cuza, 2013, pp.207-218.
14- **Nicholson**, R.H., "The Growth of the Latin States", in: K. Setton (ed.) *History of the Crusades*, Philadelphia 1955.
15- **Ostrogorsky,** O., *History of the Byzantine State*, Oxford 1956.
16- **Smail**, R.C**.,** *Crusading Warfar 1097–1193*, Cambridge 1976.
17- **Stevenson**, W.B**.**, The *Crusaders in the East*, London 1968.
18- **Vryonis** , Sp. Jr., *The Decline of Medieval Hellenism in Asia Minor and the Process of Islamization from the 11th through the 15th Century* , Berkeley / Los Angeles/ London , 1971.